صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الأفريقي

الحركة السنوسية

في ليبيا

الجمهورية الطرابلسية

تأليف

الدكتور علي محمد محمد الصلابي

إن تاريخ الجهاد الليبي ملئ بالمحطات المهمة التي ينبغي الوقوف عندها درساً للوقائع واستجلاء للحقائق واستفادة من العبر قال تعالى: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} (سورة ق، آية: 37).

لقد كان إعلان الجمهورية الطرابلسية محاولة مبكرة لإقامة دولة مستقلة لها دستورها، ومؤسساتها، وهياكلها، وبذلك أصبحت لهذه الحادثة سبقاً تاريخياً في عالمنا الإسلامي والعربي، ولذلك لابد من تسليط الأضواء عليها والتعريف بها، ونستطيع القول إن بداية الفكرة ظهرت مع ظهور ورجوع سليمان الباروني في ساحة الجهاد الليبي مرسلاً من قبل الخلافة العثمانية التي خولته الولاية على طرابلس والقيادة، ونقصد بظهوره بعد غيابه المفاجئ من ساحة الجهاد وذهابه إلى الأستانة عاصمة دار الخلافة، حيث نزل عن طريق غواصة ألمانية بقصر (حمد) بمصراته في 16 أبريل 1916م[1]. كان رجوع سليمان الباروني بعد أن مهد الأتراك لهذا الإلحاق فاستصدروا (فرماناً) مرسوماً سلطانياً من جلالة السلطان بإلحاق طرابلس بتركية.

وقد جاء هذا القرار في وقت كان الطرابلسيون محتاجين فيه إلى المساعدة، ففرحوا به، وكانت سياسة الترك والألمان تستهدف لإذكاء نار الثورة في طرابلس واستئنافها في برقة إن أمكن من طريق وجودهم في طرابلس من شغل أكبر عدد ممكن من الجيوش الإنجليزية والإيطالية[2].

وقام الشيخ سليمان الباروني بمجموعة من الإجراءات الإدارية والمالية للإشراف على قيادة وتنظيم المجاهدين لمواجهة تحركات الجيوش الإيطالية وفي إطار التنظيمات الإدارية للولاية قام بتشكيل المجلس العرفي الشرعي- وكان يتكون من مجموعة من العلماء ليتمكنوا من حل القضايا الجنائية والشرعية المعلقة بسبب الحرب، وقد ضم ذلك المجلس كلاً من:

1- الشيخ عمر المنصوري مفتياً للولاية.

2- الشيخ علي الهمالي قاضياً لمصراته.

3- الشيخ محمد سعيد المسعودي قاضياً للجبل.

4- الشيخ الزروق أبو رخيص قاضياً للمنطقة الغربية.

---

(1) انظر: مجلة الانقاذ عدد 29 بقلم سالم نوح، ص44،45.

(2) انظر: جهاد الابطال للزاوي، ص203.

5- الشيخ الشكشوكي قاضياً للنواحي الأربعة.

6- الشيخ عبدالرحمن زبيدة قاضياً لورفلة[3].

وفي تلك المرحلة كانت الأوضاع العسكرية تميل إلى صالح المجاهدين، فقد تصاعدت حركة الجهاد ضد إيطاليا، وقام سليمان الباروني بالإتصال بقادة البلاد، وزعمائها وعمل على نبذ الخلاف، وتوحيد الصف ويحفظ لنا التاريخ بعض الرسائل التي أرسلها سليمان الباروني من مصراته إلى الأعيان والمشايخ يخبرهم فيها بقدومه ومن هؤلاء المشايخ الشيخ سوف رئيس المجاهدين في العزيزية: (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: عدنا ولله الحمد - والعود أحمد - إلى وطننا العزيز من دار الخلافة العظمى تحملنا عفاريت البحر السابحة فوق جبال الأمواج تارة، وتحت عمق خمسين ذراعاً في لجج اليمّ أحياناً إلى أن قال: عدنا ولله الحمد، ومعنا كل مايلزم، واستقبلنا أهل مصراته الكرام بكل سرور وابتهاج، هذا وقد تفضل أمير المؤمنين أيده الله - فأمر حكومته بإلحاق طرابلس الغرب بلادنا بالولايات العثمانية، واقتضت إرادته السنية إرسالي لأجل إجراء الترتيبات اللازمة ملكية وعسكرية وتعهد أن يوالي المدد إلى النهاية كما تطلعون على ذلك في منشوره العالي الشأن.

وسنعرفكم من مركز مسلاته بعد المذاكرة مع البطل الغيور رمضان بك ومن معه من الأبطال عن المكان واليوم الذي يصير فيه الاجتماع العمومي إن شاء الله، فانتظروا جوابنا والسلام الأسنى على العلماء الأفاضل والمشايخ ورجالكم الكرام[4].

19 ذي الحجة سنة 1334هـ

من أخيكم سليمان الباروني

وقبل سفره إلى مسلاته أرسل كتاباً إلى محمد إدريس السنوسي يطلب منه الإنسحاب من سرت قطعاً للفتنة والنزاع. وهذا نصه بعد الديباجة:

---

(3) انظر: مجلة الانقاذ عدد 29 بقلم سالم نوح، ص44، 45.

(4) انظر: جهاد الابطال، ص205.

هذا وقد وصلت مصراته مرسلاً من لدن حكومتنا السنية بطلب من الأهالي بعنوان والي قومندان طرابلس. ولدى وصولي المركز وصل الخبر بأن قوة قدمت من جهة برقة تحت قيادة القائمقام موسى بك واحتلت قصر سرت بعد أن بارحتها قوة الزاندرمة التي هناك من طرف رمضان بك السويحلي باسم الدولة العثمانية، فبادرت بإرسال جواب إلى موسى بك والشيخ صالح الأطيوش لأنه بلغني أنه مع القوة المذكورة، فجاء الجواب من الشيخ صالح مبيناً فيه أنه ماقدم إلا بأمر من سيادتكم ومن نوري باشا بعنوان (متصرف سرت) فتأسفت لأنه كان أول أمر أصدرته متعلقاً بتجهيز قوة لمقابلة تلك القوة المنسوبة إليكم إلا أنني أمرت قومندان القوة أن يتحاشى - ما أمكن - الدخول فيما يكدر الخواطر بين بني وطن واحد ودين واحد رجاء أن تتخلى القوة مختارة عن القصر بعد أن يبلغها المنشور السلطاني الذي أرسلناه إليكم.

بناء عليه أرجو المبادرة إلى تسوية هذه المسألة إن كان أمر حركتها صادراً منكم[5].

27-28 ذي الحجة سنة 1334هـ.

فرد عليه السيد محمد أدريس برسالة قال فيها:

(... وذكرتم نزول عساكرنا بسرت فصحيح ذلك قبل قدومكم، اذا كانت الفتن مشتعلة بين السويحلي وترهونة، فأجبرنا الحال على ان نطفأها بأي كان ، قال تعالى : {وإن طائفتان} وذكر الآية، فأرسلنا الجيش ونزل بسرت من دون اذن أحد .. وها نحن امرناهم بأن يقفوا بالقصر .

ونحن لاغرض لنا الا اتحاد الإسلام وتخليص رقاب المسلمين فقط، كما اننا نأمل من جانبكم معاونتنا على اطفاء الفتن .. ونحن وأنتم لا فرق بيننا، كلنا قصدنا شريف ومحارب تحت الراية الاسلامية العثمانية[6].

8 محرم سنة 1335هـ

محمد ادريس بن السيد المهدي

كانت تركيا حريصة على دعم ثورة ليبيا في تلك الايام ولذلك ارسلت الامير عثمان فؤاد

([5]) انظر: جهاد الابطال، ص205.

([6]) انظر: جهاد الابطال، ص206.

قائداً عاماً بدل الباروني في مارس 1918م وكان في صحبته البارون فريد فون توندروف الالماني الذي جاء معه فريق فني لتسيير التلغراف اللاسلكي، وكان الأمير عثمان يحمل لقب (القائد الأعلى للقوات الافريقية)[7].

جاء الأمير عثمان فؤاد إلى مصراته في مارس سنة 1918م لتنفيذ سياسة متفق عليها بين الترك والألمان لتغذية الثورة في طرابلس ضد الطليان، حتى إذا ماوافقوا حاولوا أن تمتد الثورة إلى برقة للإغارة على الإنجليز في مصر مرة ثانية.

وكان مما تنطوي عليه هذه السياسة إحياء فكرة جمهورية شمال إفريقية التي قامت من أجلها ثورة الحامة بتونس عام 1915م، وقد وجدوا من نشاط الطرابلسيين ما شجعهم على المضي في العمل من أجلها.

كان الاستعمار الفرنساوي في شمال إفريقية مضرب المثل في الاستبداد بالمسلمين والإساءة إليهم، وكان الأحرار من التونسيين، والجزائريين والمراكشيين يفكرون دائماً في التخلص من هذا الكابوس الذي جثم على صدورهم وسلب حقوقهم، وقد انتهزوا فرصة نشوب الحرب في عام 1914م فألف جماعة منهم في الأستانة وفداً أخذ يعمل لإنشاء (جمهورية شمال افريقية) ينضوي تحت لوائها من حدود مصر إلى حدود بحر الظلمات، وكان في مقدمة هؤلاء السادة المجاهدين السيد علي باشا حنبه، والشيخ صالح الشريف، والشيخ إسماعيل الصفايجي، وهؤلاء الثلاثة من تونس، ومعهم جماعة من الجزائريين والمراكشيين، وزار الوفد ناظر الخارجية العثمانية، وأبلغه رغبة سكان شمال إفريقية في الاستقلال، وإنشاء جمهورية افريقية متحدة، وطلبوا منه إبلاغ ذلك إلى ألمانيا والنمسا رسمياً، وأن يسمح لهم بالسفر إلى برلين وفيينا لبسط مطالبهم والحصول على الوعود والمساعدات اللازمة.

وعرض اقتراح الوفد على سفير إلمانيا في تركية، فأبلغه بأن حكومته لاتتعهد لأبناء شمال أفريقية بالاستقلال إلا إذا ثاروا على الفرنساويين الذين يحتلون بلادهم، وغادر الوفد الأستانة عقب ذلك إلى برلين وزار وزارة الخارجية الألمانية، وقدم طلباته فقبلتها وسجلتها رسمياً، كما اعترفت بها النمسا وتركية أيضاً، فكان ذلك أول اعتراف دولي بالجمهورية الإفريقية المتحدة في شمال إفريقية. وقصد الوفد بعد ذلك إلى لهاي (مقر

---

[7] انظر: عبدالنبي بالخير، داهية السياسة وفارس الجهاد، محمد المرزوقي ، ص102.

المحكمة الدولية)، فسجل هذا الاعتراف في سجلاتها، لأن عصبة الأمم لم تكن أنشئت إذ ذاك.

وتنفيذاً لرغبة الألمان في الثورة على الفرنساويين، ورجاء الوفاء بما وعدوا به الوفد من المساعدة، وإمداد الثورة بما يلزمها من المال وآلات الحرب وإنشاء جمهورية شمال افريقية قامت ثورة الحامة سنة 1915م، فاضطرت فرنسا إلى أن ترسل من جيشها ثلاثين ألفاً لإخماد الثورة. وقد اختيرت الحامة مكاناً للثورة لقربها من الحدود الطرابلسية، وليسهل الإتصال بها والاستناد إليها، وكانت إذ ذاك على أشدها، وقد قام بهذه الثورة الشيخ سعيد دبان من أعيان جنوب تونس وممثله في الجمعية الشورية، فأغار على مراكز الفرنساويين في الحامة، وقد تداركها الفرنساويون بجيوشهم فأخمدوها في مدة خمسة أيام، وأسفرت عن قتل الشيخ سعيد وابنه وخادمه، وجماعة من رجاله، وعن نحو مئة قتيل من الفرنساويين. وانتقم الفرنساويون ممن وقعوا في أيديهم من أنصار الشيخ سعيد بالقتل والشنق والسجن. والتجأ كثير منهم إلى الحدود الطرابلسية، وجاهدوا مع الطرابلسيين، وكانوا يسمونهم المهاجرين وكان كبيرهم الشيخ الوحيشي رحمه الله[8].

إن هذه الثورة، وهذه الدعوة لقيام جمهورية شمال إفريقية تحتاج إلى دراسة واعية، متأنية، عميقة، لعل الأجيال تستلهم دروساً من الماضي وتجعلها نبراساً لها في المستقبل.

كانت الحرب إذ ذاك قائمة في جزيرة العرب بين الإنجليز والعرب من ناحية، وبين الترك من ناحية أخرى، ولم يطل الأمر حتى رجحت كفة الإنجليز على الترك، ثم اشتد الضغط عليهم من الجيوش العربية والإنجليزية في الشام، وتلاحقت عليهم الهزائم، وتحطمت جيوشهم، وضعفت عزائمهم، واضطروا للاستسلام وعقد الترك والحلفاء معاهدة جزيرة (موندروس) في 31 أكتوبر سنة 1918م تعهدت فيها بسحب جيوشها من جميع البلاد ومما جاء في هذه المعاهدة مما يتعلق بطرابلس في المادة 17 (يجب على جميع الضباط الترك في طرابلس الغرب أن يسلموا أنفسهم إلى أقرب مركز إيطالي. ويجب على تركية أن تقطع الأرزاق والمساعدات وكل صلة مع هؤلاء إذا لم يذعنوا ويسلموا).

([8]) انظر: جهاد الابطال ، ص219،218.

وجاء في المادة 19 (تسلم جميع الموانئ في طرابلس ومصراته إلى أقرب قائد لجيوش الحلفاء).

وكانت هذه المعاهدة آخر سلاح استعمله الحلفاء لقطع صلة الترك بالعرب، كما كانت آخر عهد العرب بدولة آل عثمان التي تفككت أوصالها، وتراخت بها الحياة، وزال ظلها بعد أن حكمتها 416سنة، من عام 922هـ إلى 1338هـ لم تنقطع صلتها بها. حتى وصلت في آخر عهدها إلى أحط الدركات، وطوى التاريخ صفحاته على مالها وما عليها[9] ولقد تعرضت للدولة العثمانية في كتابي السادس (الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط).

إن لله سبحانه وتعالى سنناً ثابتة في حركة الإنسان في هذا الكون وهذه السنن، كما عرّفنا عليها القرآن الكريم ذات ارتباط وثيق بقضية الإيمان، والكفر والعدل والظلم، وقضايا السلوك الإجتماعي والأخلاقي للمجتمعات البشرية، والذي يحدد لنا اتجاهات السنن الربانية هو القرآن الكريم فهو الذي عرفنا بالخير والشر وبالحق والباطل، والعدل والظلم[10]، وقد بين لنا القرآن الكريم أن الحياة الهادئة المباركة الآمنة لاتكون إلا في ظل الإيمان والتقوى والاستقامة على منهج الله تعالى قال تعالى: {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون} (الأعراف:96).

وإن الإعراض عن منهج الله وترك العمل بشريعته يؤدي بالأمة إلى مدارك الهلاك وضنك الحياة المادية منها والنفسية، ويرفع التمكين والنصر، وتنزل الهزيمة والخذلان بسبب المعاصي، والذنوب، والكبائر والابتعاد عن صراط الله المستقيم وحبله المتين.

لقد كان لسقوط تركيا في الحرب العالمية الأولى أثر سيئ على حركة الجهاد بطرابلس، وساهم خبر سقوطها في إخماد جذوة الحماس، وبث في قلوب الطرابلسيين الوهن، وأفزعهم كثيراً على مصيرهم المظلم.

([9]) انظر: جهاد الابطال ، ص320،319.

([10]) انظر: صفحات من تاريخ ليبيا الاسلامي، علي محمد الصلابي، ص83.

وسرعان ما انتشر خبر هزيمة تركيا في مصراته وامتد منها إلى غيرها، فاضطربت أحوال الناس، وهاجت نفوسهم، وتشوشت أفكارهم.

كان لسقوط تركيا سبب رئيسي في ظهور فكرة الجمهورية الطرابلسية وطرحت على بساط البحث، واشترك فيها رمضان بك، وعزام بك، والباروني باشا، والأمير عثمان، ومختار بك كعبار وانتهت نتائج المباحثات بالموافقة على فكرة تأسيس الجمهورية، وأرسلت الدعوة إلى رؤساء القبائل وزعمائها وشيوخها باسم الأمير عثمان لعقد اجتماع عام في مسلاته لإعلان الجمهورية، وفي يوم السبت الثالث عشر من صفر سنة 1337هـ الموافق 16 من نوفمبر سنة 1918م اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاته، وهو أكبر جامع فيها، وحضر الامير عثمان فؤاد، وأخبر المؤتمرين أن الاستاذ عبدالرحمن عزام بك سيخطب فيهم بالنيابة عنه، وأنه سيتحدث نيابة عنه وطلب منهم الموافقة على ماسيطلبه منهم.

وخطب الاستاذ عزام خطبة مؤثرة حث فيها الناس على وحدة الصف، ونبذ الخلاف، وعلى العمل الجاد للوصول الى استقلال البلاد، وطرد الغزاة ثم طرح عليهم فكرة انشاء حكومة وطنية تتوحد فيها الكلمة وتتولى امور البلاد، وتنظر في شؤون الامة، فلقت الفكرة استجابة من الجميع، واجماعاً بدون خلاف وسميت الجمهورية الطرابلسية[11]. واجريت الانتخابات في الحال لاختيار أعضاء الجمهورية، فأسفرت الانتخابات عن الآتي:

أولاً: تشكيل مجلس إدارة الجمهورية:

وكان اعضاء هذا المجلس اربعة من أقوى الزعماء نفوذاً على سكان منطقتهم وهم : سليمان الباروني، احمد بك المريض، رمضان بك السويحلي، عبدالنبي بك بالخير، وكان جميع القرارات والأوامر الصادرة من هذا المجلس، تمضي بأسماء الأعضاء ، الأربعة، إظهاراً لاتحاد اصحابها وتقوية لاعتمادها بين الناس، وانتخب الى جانب الأربعة مراقباً ومديراً مالياً لمالية الجمهورية، هو زعيم غريان مختار بك كعبار، وكان ذا ثقافة عصرية عالية درسها بالمعاهد التركية، وكان أحد نواب طرابلس في البرلمان العثماني باستانبول، وجعل الاستاذ عبدالرحمن عزام مستشاراً لشؤون الجمهورية، وارتبط بمجلس الادارة جميع الموظفين، وشؤون الجهاد، والأمور الاجتماعية.

---

(11) انظر: جهاد الابطال، ص224.

ثانياً: مجلس شورى الجمهورية:

وشكلت الهيئة الثانية وهي مجلس شورى الجمهورية، والغاية من إيجاده هو ليساند مجلس الادارة الحكومية، في قيامها بأعمال وواجبات تشبه الى حد ما، وظائف مجلس النواب، والشيوخ في البلدان الاخرى، ذات الأنظمة الدستورية، وقد تألف هذا المجلس من أربعة وعشرين (24) عضواً، ضم كافة أعيان الجهات من فزان جنوباً الى العجيلات شمالاً، ومن سرت شرقاً الى نالوت وغدامس غرباً.

واختاروا المجاهد الكبير، الشيخ محمد بك سُوف زعيم قبيلة المحاميد وحفيد غومة المحمودي صاحب الثورة الكبيرة ضد الترك رئيساً لمجلس الشورى، ونائبه يحيى بك الباروني ، شقيق سليمان الباروني[12].

وأما باقي الأعضاء فهم:

الشيخ عبدالصمد النعاس	عضواً	ترهونة
الشيخ مفتاح التريكي	عضواً	مسلاته
الشيخ علي بن رحاب	عضواً	قماطة
الحاج محمد بن خليفة	عضواً	الساحل
عبدالسلام الجدايمي	عضواً	زليتن
الحاج علي المنقوش	عضواً	مصراته
محمد المنتصر	عضواً	سرت
مفتاح التايب	عضواً	أرفلة
السيد محمد بن بشير	عضواً	أولا ابي سيف
عبدالرحمن بن بركان	عضواً	من مرزق-فزان
محمد بن أحمد الفايدي	عضواً	الشاطئ
الشيخ الحبيب عزالدين	عضواً	غدامس
ابراهيم أبي الأحباس	عضواً	الجبل
الحاج محمد فكيني	عضواً	الرجبان
الشيخ احمد البدوي	عضواً	الزنتان
سالم البرشوشي	عضواً	الجبل-يفرن
علي بن عبدالرحيم	عضواً	ككّلة
الشيخ شطيبة	عضواً	غريان

(12) انظر: رمضان السويحلي، محمد فشيكة ، ص196،195.

علي بن تنتوش عضواً ورشفانة
عبدالرحمن شلابي عضواً الزاوية
علي شلابي عضواً النواحي الأربعة
عبيدة المحجوبي[13] عضواً عن صرمان والعجيلات

ثالثاً: مجلس الجمهورية الشرعي:

وعرفت الهيئة الثالثة باسم (مجلس الجمهورية الشرعي) وكانت أعماله، وأحكامه القضائية وفقاً لاحكام الفقه الاسلامي، على مذهب الامام مالك، وعرف وتقاليد البلاد، واسندت عضويته الى أربعة من كبار العلماء وهم : الشيخ الزروق بوخريص (من غريان) - الشيخ محمد الإمام (من الزنتان)، الشيخ عمر المساوي (من الزاوية) ، الشيخ مختار الشكشوكي (من مدينة طرابلس)[14].

مؤشرات ودلائل:

كان لاختيار اسم الجمهورية دلالة واضحة على اطلاع الليبيين في ذلك الوقت على أنواع الانظمة السائدة في العالم ومنها النظام الجمهوري، ولإطلاق لفظ الشورى دلالته الخاصة التي توحي بالتأصيل والتمسك بالمصطلح وما يضيفه ذلك المصطلح من أبعاد اسلامية وتاريخية كما تدلنا على معرفة الاجداد لأهمية الشورى وانها من قواعد النظام الاسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم.

قال تعالى : {والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون} (سورة الشورى، آية 38). لقد قرنت الآية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة واجبة شرعاً، فكذلك الشورى واجبة شرعاً[15].

إن هذه الاية قد نزلت في سورة سميت سورة الشورى، وهي مكية، ولقد جاءت مؤكدة أن تكون الشورى صفة ملازمة للجماعة الاسلامية، وسلوكاً اجتماعياً لا يغادرهم قبل قيام الدولة الاسلامية وبعد قيامها، فإن كلمة أمرهم من ألفاظ العموم تشمل جميع شؤونهم

---

(13) انظر: جهاد الابطال، ص226،225.

(14) انظر: رمضان السويحلي، فشيكة ، ص199.

(15) انظر: النظام السياسي في الاسلام لأبي فارس، ص90.

في الحياة العامة ، والمشتركة[16].

كما أن اعتماد طريقة الترشيح والانتخاب كوسيلة مثلى لتولي المسؤولية والوصول الى المناصب السياسية الهامة في الدولة اشارة ودلالة على اهتمام الأجداد بهذا المبدأ رغم أن الفترة كانت فترة جهاد وحرب ، واستنفار.

كما أن اختيار المسجد (جامع المجابرة) للاجتماع وإجراءات الترشيح، والانتخابات والاتفاق على إقامة الجمهورية والتعهد بإقامة العدل، يؤكد على أن نظرة المجاهدين للجامع لا تقتصر على اعتباره مكاناً للعبادة فقط، وإنما هو محلاً للعمل السياسي، والنشاط الاجتماعي ، والحكم القضائي، كانت مساجد بلادنا عامرة بالنشاطات الشاملة، ونرجو من الله تعالى أن يوفق المسلمين للعمل الدؤوب حتى ترجع المساجد شعلة نور، ومحضن تربية، ومنبراً للدعوة الى الله.

ان المساجد في بلادنا اصبحت في احسن احوالها مقتصرة على اداء الصلوات فيها وجردت من مهامها الاخرى.

إن ماقام به الاجداد من التقاء واجتماع في مسجد المجابرة في مسلاته دليلاً على معرفتهم لوظائف المسجد في الأمة.

لقد كان المسجد في عهد رسول الله ε مكان الاجتماع العام الذي كانت جلسات الشورى تعقد فيه، وكان يتم توزيع العطايا، كما كانت التبرعات تجمع للمحتاجين....الخ.

ومن الأدلة على ذلك:

استشارة النبي ε اصحابه رضي الله عنهم في غزو احد، فقد استشارهم في المسجد بعد صلاة الجمعة، وكان رايه ε أن يبقى المسلمون متحصنين داخل المدينة، لكن الأغلبية من الشباب كانت تفضل ملاقاة المشركين خارج المدينة حتى لايفوتهم اجر الشهادة في سبيل الله الذي فاتهم يوم بدر، وقد فضل النبي ε النزول لرغبتهم اخيراً، فخرج لملاقاة المشركين خارج المدينة[17].

---

(16) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم للصلابي ، ص447.

(17) انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام (162/8).

إن الأدلة في هذا المعنى كثيرة ومن أراد التوسع فعليه مراجعة كتاب الدكتور محمد احمد كيف نعيد للمسجد مكانته.

كما أن تشكيل المجلس الشرعي للنظر في قضايا الجمهورية الوليدة، والمخالفات والجنايات بين المواطنين، وتحديد العلماء الذين يشرفون على هذه المهمة لدلالة قاطعة على احترام الاجداد للعلماء والفقهاء، وعلى حرصهم على جعل الشريعة الاسلامية هي الدستور للجمهورية مما يؤكد على اجتهاد الليبيين الأصيل وعدم نجاح الغزو الفكري في ذلك الوقت في التأثير على اختيارات المواطنين النابعة من عقيدتهم ودينهم وتراثهم الاسلامي العظيم.

إن من أخطر عوائق النهوض بالامم غياب القيادة الربانية وذلك أن قادة الأمة عصب حياتها، وبمنزلة الرأس من جسدها، فإذا صلح القادة صلحت الأمة، وإذا فسد القادة صار هذا الفساد الى الأمة، ولقد فطن أعداء الاسلام لأهمية القيادة في حياة الأمة الاسلامية، ولذلك حرصوا كل الحرص على ألا يمكنوا القيادات الربانية من امتلاك نواصي الأمور، وأزمة الحكم في الأمة الاسلامية ففي خطة لويس التاسع أوصى بـ (عدم تمكين البلاد الاسلامية والعربية من أن يقوم بها حاكم صالح) كما أوصى بـ (العمل على إفساد أنظمة الحكم في البلاد الاسلامية بالرشوة ، والفساد، والنساء ، حتى تنفصل القاعدة عن القمة)[18].

إن العمل السياسي عندما يكون خالياً من العلماء الربانيين لاتتحقق ثماره المرجوة، إن العلماء الربانيين هم الذين جعل الله عز وجل عماد الناس عليهم في الفقه ، والعلم وأمور الدين والدنيا والعلماء وهم : أئمة الدين ، ونالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد، والصبر، واليقين {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} (سورة السجدة، آية 24).

إن العمل السياسي في بلادنا خالياً من العلماء الربانيين وكأن العالم الرباني والعمل السياسي طرفي نقيض وهذا فهم خاطئ، بل تاريخ الأمة في صراعها بين الحق والباطل، والهدى والظلال، والنور ، والظلام، لخير دليل على دور العلماء الربانيين في حركة النهوض.

ولابد من التفريق بين العلماء، والمفكرين، والمثقفين، إن مفكري الأمة لهم مكانتهم ، وقد

([18]) قادة الغرب يقولون ، جلال العالم، ص63.

نفع الله بهم نفعاً كبيراً، ولكنهم مع ذلك لن يغنوا عن العلماء شيئاً إلا في حدود علمهم، وقدراتهم كما أن المثقفين وهم ، فئة من الأخيار الصالحين، ذوي تخصصات علمية برزوا فيها، سواء في العلوم التجريبية مثل، الطب والهندسة والكيمياء او في العلوم المسماة بـ(العلوم الانسانية) مثل علم النفس وعلم التربية وعلم الاجتماع، فهؤلاء وإن حمد لهم تخصصهم في مثل هذه العلوم فصاروا مرجعاً فيها، فإنهم غير مختصين في العلوم الشرعية، وهم في الاصطلاح العلمي الشرعي جمهور المسلمين، وعوامهم الذين يجب عليهم أن يكونوا وراء العلماء، ويجب عليهم أن يرجعوا للعلماء في أمور الشريعة ، ويكونوا عوناً لهم في شرح واقع تخصصاتهم، فالطبيب يشرح الأمور الطبية، والاقتصادي يشرح الجوانب الاقتصادية العصرية ، وهكذا ليفهم العلماء والفقهاء الأمور على حقيقتها، ويستخرجوا الحكم الشرعي وفق دراسة واعية ومتفتحة، إن كلام (المفكرين) والمثقفين يجب أن يكون محكوماً بالشرع، وأما إذا بنى هؤلاء المثقفون والمفكرون كلامهم في أمور الشريعة، وأحوال الأمة العامة على اساس من العقول والأهواء، وإطلاق القول بالمصالح دون نظر في كتاب الله، وسنة رسوله ε ، وأقول العلماء الراسخين، فإنهم بذلك يكونون أشبه بأهل الكلام[19].

ولابد من التفريق بين القارئ للعلوم الشرعية والفقيه فيها:

إن القارئ لديه نتف وجزيئات أمسك بها من خلال قراءته لبعض الكتب، واطلاعه على أقوال أهل العلم فهو لم يعان العلم، ولم يشافه العلماء، ولم يزاحمهم بالركب في الحلق.

أما العالم الفقيه فليس كأولئك بل هو ذو فهم شمولي عام للاسلام ، واطلاع على مجمل الأحكام الشرعية، فهو لم يقرأ نتفاً، بل درس العلوم الشرعية دراسة شاملة عامة. فمر على مسائل العلم واستطاع تخريجها على أصولها، وأصبحت لديه ملكة فهم النصوص، وعرف مقاصد الشريعة، وأهدافها العامة.

إن علمه لم يأته من قراءة ليلة بل من سهر الليالي ومعاناة الأيام، فشأن العلماء أنهم لايقفون عند حد في التعلم، بل هم دائمو الطلب ، دائبو التعلم[20].

ولابد من التفريق بين العلماء والخطباء والوعاظ إن العالم قد يكون بطبعه قليل الكلام

([19]) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم، ص232.

([20]) انظر: قواعد في التعامل مع العلماء، ص33.

غير قادر على الخطابة، وقد يكون من العوام من هو بليغ اللسان يقلب الألفاظ كيف يشاء.

هذا التفريق مهم جداً في مابين العلماء الراسخين وممن يشتبه بهم، ولذلك لابد أن يقود العمل الاسلامي القادة الربانيون وعلى رأسهم العلماء الراسخون.

إن الشريعة الاسلامية أعطت اعتباراً للعلماء، وبنته على أمرين مهمين:

1- طاعتهم طاعة لله -عز وجل- ولرسوله ع، فالتزام أمرهم واجب.

2- أن طاعتهم ليست مقصودة لذاتها، بل هي تابعة لطاعة الله ورسوله ع.

والادلة على هذه المنزلة، وهذا الاعتبار للعلماء في الشريعة غير منحصرة ، فمنها:

قوله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} (سورة النساء، آية : 59).

وقد اختلف المفسرون في أولي الأمر منهم على أقوال:

فقيل هم السلاطين وذوو القدرة.

وقيل : هم أهل العلم.

يقول الامام ابن القيم الجوزية -رحمه الله- : (والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ع فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ع، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الاسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس لهم تبعاً، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين ، وفساده بفسادهما)[21].

إن وضع الثقة في العلماء الربانيين لخطوه مباركة في ترشيد الأمة التي تسعى نحو

([21]) انظر: أعلام الموقعين (10/1).

تحكيم شرع الله والتمكين لدينه.

إن القيادة الربانية ، والتي على رأسها العلماء الذين وصلوا الى درجة النظر في فقه الاسلام من كتاب الله وسنة رسوله ε ، هم الذين يجب أن يقودوا الأمة نحو مرضات الله.

إن أعداءنا من اليهود ، والنصارى، والملاحدة والعلمانيين، أيقنوا أن من أسباب قوة المسلمين التفافهم حول علمائهم وقادتهم، ولذلك شنوا هجوماً عنيفاً من أجل زعزعة ثقة الامة في علمائها وقادتها واستعملوا اساليب متنوعة للتشويه والطعن فيهم؛ لأن العلماء هم الوصلة الحقيقية بين الأمة ، وقرآنها، وسنة نبيها ε.

وقد لاحظ الاستعمار الأوروبي الحديث ذلك، وما الثورات التي فجرت الاستعمار إلا بقيادة العلماء، والقادة الربانيين، من المغرب الى المشرق، وفي كل ديار المسلمين ولذلك قام اليهود ، والنصارى، والملاحدة بتشويه صورة القادة والعلماء بواسطة المسرح، والتلفاز، والمجلة، الجريدة، والنوادي، والغناء، وكل وسائل الاعلام، وإذا أردت أن تعرف هجومهم الاعلامي ابتداء من العقود الماضية، فلتراجع كتاب المشايخ والاستعمار للاستاذ حسني عثمان، فإنه أجاد.

إن القيادة الحكيمة وهي تسعى لتحكيم شرع الله تعالى، وإقامة دولة الاسلام توقن إقاناً جازماً أن المجتمع لن يكون اسلامياً بجرة قلم ، أو بقرار يصدر من ملك ، أو رئيس، أو مجلس قيادة، أو برلمان إنما يتحقق ذلك بطريق التدرج، والاعداد ، والتهيئة الفكرية، والنفسية، والاخلاقية، والاجتماعية ، وإقامة البدائل الاسلامية للأوضاع الجاهلية التي تأسست عليها مؤسسات عدة لأزمنة مديدة.

فهي تعين الهدف، وتوضع الخطة، وتحدد المراحل بوعي وصدق، بحيث تنتقل من مرحلة الى مرحلة بتخطيط، وتنظيم، وإرادة قوية، معتمدة على الله تعالى حتى تصل المسيرة الى مرحلة النهوض الشامل لدولة الاسلام المنشودة.

إن القيادة الربانية الحكيمة والتي تسعى لتحكيم شرع الله تعطي للعلوم بأنواعها أهمية، وخصوصاً في علوم الشرع ، وتركز عل علم المقاصد، وفقه الموازنات، وفقه الخلاف وفقه الأولويات، وفقه السنن الربانية، لأهميتها في زماننا هذا، بل هي من أفضل العدة

بعد تقوى الله تعالى للعاملين من أجل تحكمي شرع الله[22].

إن القيادة الربانية الحكيمة هي التي تفجر طاقات الأمة ، وهي التي تحتضن الاسلام وتنتهجه قلباً وقالباً، عقيدة وشريعة ، وديناً ودولة، وهي التي تصبح وتمسي وهماها عقيدتها وأمتها، وهي التي تسعى بكل ماتملك لحل المشاكل التي تواجهها، وتعمل بكل جهد، وإخلاص للقضاء على عوائق النهوض الداخلية والخارجية.

إن العمل لبناء الأمة، وأحياء الشعوب يحتاج لمعرفة بالسياسة الشرعية، وأمور الجهاد، والهدنة، والمصالح والمفاسد، وغير ذلك من الاحكام التي تتناول مظاهر الحياة، وهذه العلوم من لها إن لم يكن العلماء الربانيون لها.

رابعاً: قسم الجمهورية والبلاغات:

لم يستطع بعض أعضاء مجلس الشورى الاجتماع، بل كان بعضهم غائباً، وإنما انتخب توزيعاً للمسؤولية وتحقيقاً للمساواة والوحدة بين جميع القبائل. وقبل الانصراف من المسجد أقسم الحاضرون جميعاً يمين الولاء والاخلاص للجمهورية، وتوكيداً لليمين أحضروا مصحفاً وكل من أراد اليمين وضع يده عليه وهذا نص اليمين:

(أقسم بالله العظيم قابضاً بيدي على هذا القرآن الكريم أن أجعل نفسي ومالي فداء لوطني، وحكومتي الجمهورية الطرابلسية. وأن أكون لعدوها عدواً ولصديقها صديقاً، ولقانونها الشرعي مطيعاً)[23].

ثم وزع الأمير عثمان بعض النياشين والرتب على أعضاء الجمهورية وكثير من الأعيان والوجهاء.

ومن هذا التاريخ أصبحت الحكومة الجمهورية الطرابلسية قائمة وأصبح لها عهد في عنق كل طرابلسي يحميها مما يحمي منه نفسه وماله، وأصبح واجب عليه الالتزام بما أقسم عليه من الولاء والإخلاص[24].

أ- بلاغات الجمهورية:

([22]) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم، ص240.

([23]) انظر: جهاد الابطال، ص226.

([24]) المصدر السابق نفسه،ص227.

وكان أول ماقام به مجلس الادارة من الأعمال أنه أذاع بلاغه الأول، على أبناء الشعب الطرابلسي، عن قيام الجمهورية الطرابلسية، وذيل بتوقيعات الأعضاء الأربعة بمجلس الادارة وكان هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(في الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت المبارك، الثالث عشر من شهر رمضان سنة 1337هـ قررت الأمة، تتويج استقلالها بإعلان حكومة الجمهورية بإتفاق آراء علمائها الأجلاء، وأشرافها ، وأعيانها، ورؤساء المجاهدين المحترمين، الذين اجتمعوا من كل أنحاء البلاد، وقد تم انتخاب أعضاء مجلس الجمهورية، وأن الأمة الطرابلسية تعتبر نفسها، حائزة لاستقلالها، الذي اكتسبته بدماء أبنائها وقوتها، منذ سبع سنين، وسعيدة بالوصول الى هذه الغاية التي هي أشرف ماتصل إليه الأمم، وتهنئ أبناءها بتمام نجاحهم واتحادهم، على الثبات في الدفاع عن وطنهم وحكومة الجمهورية الجديدة والتوفيق من الله تعالى وحده).

13 صفر سنة 1337.

سليمان الباروني،

احمد المريض،

رمضان الشتيوي،

عبدالنبي بالخير[25].

وفي أثناء إعلانات البلاغات السياسية عن الجمهورية، كان قد اختاروا المتصرفين والقائمقامين، ونقل بعضهم، وعين موظفي المناطق ، وعين الموظفين للعمل بمجالس الجمهورية، كما عين لقيادة الجيش الجمهوري اللواء الفخري عبدالقادر الغناي وهو من بنغازي، ولكنه لم يكن من المقدرة القتالية المطلوبة، وبلغ من ضعفه أنه سلم الزاوية

([25]) انظر: رمضان السويحلي، محمد مسعود، ص200،199.

الغربية للطليان في أول يناير 1919م[26].

ب- البلاغ الثاني:

كان البلاغ الثاني الى الضباط الوطنيين:

(الى حضرة الوطني

بما أن جنابك وطني صادق، ومجاهد في سبيل الدين والوطن، منذ ابتداء الحرب الطرابلسية فإننا ندعوك الى تقديم طاعتك لحكومتك الجمهورية الجديدة والقيام بما نقلدك إياه من الخدمة والدفاع عن شرف الوطن حتى تنال منها شرف الاحترام، والترفيع، وتبرهن للعالم أنك ابن الوطن العزيز وأحد رجاله الذين سيحفظ لهم التاريخ ذكرهم المجيد)[27].

ج-البلاغ الثالث الى رئيس الحكومة الإيطالية:

(تفتخر الأمة الطرابلسية بتتويج استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري وانتخاب نواب عنها من كافة انحاء القطر لمجلسي الحكومة والشورى ولا هدف لها إلا ضمان وحدتها وحريتها داخل حدودها السياسية المعروفة، ولا تقصد إلا أن يعيش عيشة هنيئة مسالمة لجميع الأمم التي لاتحاول غصب حقوقها لذلك فالحكومة الجمهورية الطرابلسية تدعو الحكومة الايطالية الى الاعتراف بها، وسد كل باب يضطر الحكومة الطرابلسية الى مداومة الحرب الى أن تحقق أملها المشروع)[28].

13 صفر سنة 1337هـ

ملحق:

إذا قبلت المواد الآتية ووضعت موضع الاجراء فالحكومة الجمهورية الطرابلسية مستعدة للبحث مع الحكومة الايطالية في عقد صلح طبقاً للقواعد الآتية:

([26]) انظر: جهاد الابطال، ص228.

([27]) انظر: جهاد الابطال، ص228.

([28]) المصدر السابق نفسه، ص228.

في حالة دوام المذاكرة يجب على كل من الطرفين المحافظة على مواقعه بصورة هدنة.
لا تقرب السفن الحربية السواحل غير المحتلة بالعساكر الايطالية.
لا تتجاوز الطائرات حدود الاستحكامات.
لا تقع مخابرة خصوصية مع أي أحد كان لا من جهة المناطق الحربية ولا من غيرها.
يقطع كل مافيه وسيلة للاختلاط بالأهالي من طرف الحكومة الايطالية كأخذ وإعطاء البضاعة وتوزيع الاعلانات على أي صورة وبأي طريقة كانت.
المخابرات الرسمية والدخول والخروج لايكون إلا من الموقع الذي يصير تعينه في منطقة الخمس من طرف الحكومة الطرابلسية.
الحكومة الجمهورية الطرابلسية مستقلة في شؤونها وحركاتها تمام الاستقلال، وغير مقيدة بأي شرط أو قيد تضعه حكومة أخرى أو تتعهد به لحكومة إيطاليا في طرابلس.
ضباط الترك والألمان الموجودون في داخل طرابلس هم بمنزلة ضيوف عند الحكومة الطرابلسية، ولاتسمح بسفرهم إلا بصورة تكفل منفعة وشرف الأمة الطرابلسية وحكومتها الجمهورية.
بما أن الأمة الطرابلسية لها الحق في إظهار حقوقها للعالم الانساني وبالخصوص الحكومات الموجودة قناصلها في مدينة طرابلس مثل انكلترا، وفرنسا، وأمريكا فعلى الحكومة الايطالية قبول وتوصيل مايرسل من الحكومة الطرابلسية إليها بدون اطلاع عليه، وأخذ سندات من القناصل المذكورين، وإرسالها الى الحكومة الطرابلسية حتى لاتضطر الى اتخاذ طريقة اخرى لمواصلة مخابراتها المذكورة.
المخابرة مع الحكومة الإيطالية لاتجوز إلا تحريراً ولايعتبر أي كلام شفهي[29].

13 صفر سنة 1337

الامضاءات

د- البلاغ الرابع : الى الرئيس ولسن :

"نتشرف بأن نعرض على فخامتكم أن الامة الطرابلسية قد توجت استقلالها باعلامها حكومة وجمهورية . وفي 16 نوفمبر 1918م تم انتخاب مجلس شوراها، ومجلس جمهوريتها.

إن قواعدكم المشهورة بالنسبة لمقدرات جميع الأمم سواء كانت في أوربا أو خارجها قد شجعتنا كثيراً على أن نضع آمالنا في مقاصدكم العظيمة ونواياكم العالمية الإنسانية.

إنه ليس هناك حد للحقوق والواجبات البشرية، لذلك إننا متأكدون من أنه لايمكنكم أن

([29]) انظر: جهاد الابطال، ص229،228.

تنظروا بعدم الاكتراث إلى استعباد أمة صغيرة بقوة السلاح مثل أمة طرابلس وهي تقاتل لثامن سنة ضد الغاصب المعتدي بكل متانة وهي متأكدة من أن بسالة أبنائها قادرة على أن ترد قوات المعتدين عليها في كل زمان.

وإننا نؤمل أن عواطفكم السامية نحو الحكومات والأمم الصغيرة الحية ستحثكم على أن تمنعوا تكرار سفك الدماء بيننا وبين الطليان بتكليفهم بالاعتراف بحكومتنا.

وفي الختام نرجو قبول احترامنا ووضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومي.

ر- البلاغ الخامس : إلى رئيس الوزراء الإنجليزي:

(نتشرف بأن نحيط فخامتكم علماً بأن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلانها الحكومة الجمهورية. وفي 16 نوفمبر سنة 1918م أعلنت نتيجة انتخابات مجلس شوراها ومجلس جمهوريتها.

ليس بين الامم من هو جدير بحريته واستقلاله أكثر من الأمة الطرابلسية التي تقاتل الى الآن ثماني سنوات ضد غاصب أرضها وحريتها، وإننا لاشك في أن إحساساتكم العالية نحو حرية الأمم والحكومات الصغيرة، كما أن غيرتكم على حماية العرب تجبركم على العطف على جمهوريتنا الجديدة الحرة. وإننا نؤكد لكم أيضاً أن قومنا وضعوا جل آمالهم في انكلترا حامية حقوق الأمم الصغيرة، فرجاؤنا أن تتفضلوا بوضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومية حتى تنال جمهوريتنا مايضمن لها مستقبلها. والمرجو قبول عظيم احترامنا)[30].

س- البلاغ السادس: الى رئيس الجمهورية الفرنسية:

(نتشرف بأن نحيط فخامتكم علماً بأن الامة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري. وفي 16 نوفمبر سنة 1918م أعلنت نتيجة انتخاب مجلسي الجمهورية والشوري.

إن ما قامت به فرنسا الحرة من نشر إعلان الحرية في العالم وتكبدها كل الصعوبات في سبيل حمايتها لايجهله أحد، وإنه لمكتوب على صفحات القلوب بمداد الحياة تتغذى به

([30]) انظر : جهاد الابطال، ص230.

أرواح الأحرار في كل الأقطار لاينسخه توالي الدهور ولاتمحوه زلازل الحروب.

إن ماقام في هذا العصر بطلب حريته سواء كان بسيفه أو قلمه فإنما هو مستمد من منبع الحرية الزلال، ومقتبس من سناها الساطع، ومغترف من بحرها الطاف؛، ومستخرج من معدنها الصافي (قاعدة فرنسا الحرة) فلا عجب إذا قامت الآن فرنسا لحماية الأمم الصغيرة، كأمة طرابلس الغرب التي مابرحت تريق دماء ابنائها منذ سبع سنين وزيادة في سبيل نيل حريتها واستقلالها ورد جيوش إيطاليا الغاصبة لأرضها المعتدية على شرفها.

إن الأمة الطرابلسية التي لا تجهل تاريخ فخرها القديم لم ترض أن تساق الآن بعصا الذل والهوان، وأن تستعبد في زمن مادت فيه الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بالحروب الهائلة لأجل تحرير بني الانسان.

إن كل من يتتبع التاريخ بإنصاف يجد أن الأمة الطرابلسية لم تملكها دولة من الدول، كما تملك البلاد ملكاً مطلقاً، بل لم تزل منذ خلقت أو عرفت بين الأمم في مناضلة كل من يقصد استعبادها سواء كان من الدول الاسلامية أو المسيحية وكانت ولاتزال تفضل الجلاء وسكنى القفار على تحمل الضيم والاحتقار. وهاهي أطلال بلادهم الخالية بادية، وأنسابها المنتشرة شرقاً وغرباً شاهدة؛ فسعى الأمة الايطالية وراء استعبادها الآن هو ضرب من طلب المستحيل، ولو راجعت تاريخ اجدادها وأجدادها القدماء لرأت فيه مايصدها الآن عن سفك الدماء.

لذلك تؤمل حكومة طرابلس الجديدة من جارتها الجمهورية الفرنسية أن تنظر الى المسألة الطرابلسية بنظرة الاهتمام والاعتبار، وأن تعن بوضعها على بساط مذكرات الصلح العمومي، وأن تقنع حليفة ألمانيا القديمة وحليفتها هي الآن حكومة ايطاليا بالاعتراف بحقنا المشروع حتى يقف تيار إراقة الدماء بين الأمتين، وتستريح البلاد والعباد، وتنل البلاد الطرابلسية نصيبها من هذه الراحة أيضاً فإن منفعة البلدين ومضرتهما واحدة)[31].

وقد أرسلت هذه البلاغات الى الحكومات الموجهة إليها ممضاة كلها بإمضاءات أعضاء الجمهورية. وعين موظفوا الادارة في جميع أنحاء القطر، وانصرف الاعضاء

([31]) انظر: جهاد الابطال، ص232.

والموظفون كل الى عمله[32].

وهذه البلاغات تدل على إهتمام زعامة الجمهورية بالدول الكبرى، وحرصها على استمالتها والوقوف معها ومحاولة انتزاع الاعتراف بها ولكن يبدو أن تلك البلاغات لم تجد تجاوباً من أمريكا وفرنسا، وبريطانيا وذهبت في أدراج الرياح واستنكرت إيطاليا إعلان الجمهورية الطرابلسية، وعندما تلقى الإيطاليون بلاغ الجمهورية، أعلنوا فوراً أن دولتهم ترفض، بكل تصميم الاعتراف بقيام واستقلال الجمهورية الطرابلسية، ولاتسلم لها بشيء، مما جاء في البلاغ الموجه إليها والمواد الملحقة به، بل ليس لها من جواب على ذلك سوى استئناف الحرب الضارية معها إلى أن تخضع البلاد لحكمها بالقوة[33].

ومارست إيطاليا القوة ضد الطرابلسيين، ولكن بدون جدوى، واضطرت لدخول مفاوضات تمّ تتويجها بانعقاد صلح سواني بنيادم وعقد ذلك الصلح في ليلة 17 إبريل 1919م في قرية سواني بنيادم، غرب مدينة طرابلس نحو 12كم واعتبر الطرابلسيون ذلك الصلح انتصاراً سياسياً، وحربياً على خصمهم المتعجرف العنيد وأصدرت إيطاليا القانون الأساسي، الذي جعل الفرد الطرابلسي، في مصاف الفرد الإيطالي في الحقوق السياسية، والإجتماعية[34].

وعلق غرسياني على فوز العرب بهذا القانون فقال: (تلاشى به كل أمل لسيادتنا الفعلية على طرابلس، وأصبح السبيل ممهداً للطمات شديدة نتلقاها .. وقد كان من جانبنا تسليماً حقيقياً، وهذا الدستور يمنح عرب طرابلس تفوقاً وامتيازات مدنية وسياسية واسعة، دون أن يتحملوا كما هو الحال في البلاد المتمدنة، أعباء واجبات ثقيلة، في مقابل ممارسة الحرية بمفهومها الحديث)[35].

خامساً: القواعد الأساسية للقانون

والقانون الأساسي أو الدستور، اشتمل على أربعين فصلاً ولكن قواعده الأساسية

---

(32) المصدر السابق نفسه، ص232.

(33) انظر: رمضان السويحلي ، ص202.

(34) المصدر السابق نفسه، ص207.

(35) انظر: نحو فزان ، ص26.

ارتكزت في 16 مادة منه ونصها حرفياً كما يأتي:

1- تسمى الحكومة (حكومة طرابلس الغرب).

2- يدير أمور قطر طرابلس مجلس حكومة، مؤلف من ثمانية أعضاء وطنيين ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي، من بين أعضائه، ومن عضوين إيطاليين ينتخبهم النائب العام.

3- يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطات الملكية والعسكرية، معين من جانب ملك إيطاليا (لم يحدد القانون جنسية الحاكم فقد يكون عربياً وقد يكون إيطاليا).

4- يسن قوانين البلاد مجلس ينتخبه الأهالي، يتمتع بما لمجالس الدول الأخرى المتمدنة من سلطات وحقوق، وتكون مدته أربع سنوات، كلما جدد انتخابه، جدد مجلس الحكومة من بين أعضائه.

5- لاتنفق ضرائب البلاد إلا فيها، حسبما يقرره مجلس نوابها في وصفها وتوزيعها وجبايتها.

6- لايطبق من القوانين الإيطالية في طرابلس إلا مايقبله مجلس النواب الطرابلسي. ويوافق عليه لمصلحة البلاد.

7- ينظم من أبناء البلاد جند وطني بالتطوع، حسبما تقتضيه الحاجة وقائده هو الحاكم العام.

8- للوطنيين حق التوظف في الوظائف ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالامتحان.

9- التعليم الأهلي حر تحت إشراف الحكومة.

10- اللغة العربية رسمية كاللغة الإيطالية.

11- وينتخب الأهالي رؤساء البلديات في العاصمة والملحقات.

12- يؤلف مجلس شرعي تستأنف إليه الأحكام الشرعية، وهو يعين القضاة.

13- للطرابلسيين الحائزين على شهادات عالية، الحق في مزاولة المهن الحرة كالطب، والمحاماة وغيرها في إيطاليا، كما هو في طرابلس.

14- الطرابلسي والإيطالي متساويان في الحقوق.

15- الأوقاف تدار بمعرفة هيئة إسلامية.

16- تراعى حرية الدين والتقاليد الوطنية الحسنة كما في السابق.

وختمت مواد الدستور أو القانون الأساسي البالغ نيفاً وأربعين فصلاً بتوقيعات الآتية أسماؤهم وهم:

عن الطرابلسيين: سليمان الباروني - أحمد المريض - رمضان الشتيوي - أحمد الصويعي نيابة عن عبدالنبي بالخير.

وعن الطليان: الجنرال ماجور تارديتي، رئيس الدائرة السياسية، الجنرال (باسكانو) رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإيطالي[36].

كانت إيطاليا تريد تخدير الرأي العام في إيطاليا الذي سئم من الحروب وويلاتها وأصبح الشعب بعد خروجه من الحرب العالمية الأولى محطم القوى، مهيض الجناح، لما تكبده من خسائر فادحة في إمكاناته الحربية، والعسكرية، والاقتصادية، مما جعل الرأي العام ينادي بنبذ الحروب، والاستعمار، وتزعم الحزب الاشتراكي الإيطالي هذه الدعوة، وعارض الحكومة في البرلمان.

وكانت الحكومة الإيطالية موطدة العزم سراً على نقض العمل بالقانون الأساسي، ببث الدسائس والفتن بين الزعماء في الظروف المناسبة لذلك، ثم إخضاع البلاد لحكمها

([36]) انظر: رمضان السويحلي، ص209.

والقضاء على الجمهورية[37].

كان مما جاء في القانون الأساسي الاعتراف بحكومة وطنية مقرها مدينة طرابلس وقد شكلت من ثمانية أعضاء وصدر أمر من الوالي الإيطالي بتعيينهم، وهذا نصه:

(إن والي طرابلس بعد إطلاعه على فصل 23،24 من قانون أساسي القطر الطرابلسي الصادر بتاريخ أول جونيو سنة 1919 عدد 931. وبما أنه في التحرير المؤرخ 3 سبتمبر الجاري المتقدم من أحمد بك المريض إلى الحكومة قد صار عرض الثمانية الوطنيين المنتخبين أعضاء في مجلس الحكومة. وأن هؤلاء الثمانية قد صار تقديمهم علناً بمراسم احتفالية إلى الوالي من طرف رمضان بك شتيوي الذي كان برفقته جمع كثير من رؤساء وأعيان القطر الطرابلسي. وحيث إنه من التحرير والمبحوث ومن الاحتفال الواقع تحقق أن العرض المذكور حصل باتفاق من رؤساء جهات طرابلس المختلفة يأمر بما يأتي:

إن الذوات الآتي ذكرهم قد صار تعيينهم أعضاء لمجلس حكومة القطر الطرابلسي.

عمر بك أبو دبوس.

أحمد بك شتيوي.

علي بك الشنطة.

أحمد بك الفسّاطوى.

محمد الصويعي بك.

الحاج محمد فكيني بك.

محمد بك ابن الفقيه حسن.

وسيصير تعيين مخصصاتهم بأمر آخر[38].

([37]) انظر: رمضان السويحلي، ص210.

حرر بطرابلس في 4 ديسمبر سنة 1919م

صورة مطابقة للأصل الوالي

صار الاطلاع عليه كاتب الوالي الولي

الوالي طابع الحكومة الإمضاء: ميتر نيجر

طابع الحكومة

واجتمع مجلس الحكومة في مدينة طرابلس وصارت مراكز القطر كلها مربوطة به، وحاولت هيئة الحكومة أن تباشر أعمالها في دائرة سلطاتها. ولكن الطليان سرعان ماشرعوا في الدسائس، وظهرت بوادر تشير إلى عزمهم على عدم الوفاء للطرابلسيين بالحقوق التي اعترفت لهم بها في القانون الأساسي. ودليل ذلك:

1- انه على الرغم من مطالبة الزعماء لهم بأن يخصصوا مكاناً للمجلس النيابي ، وآخر لمحل الحكومة الوطنية، فإنهم صاروا يسوفون لاستجابته بأقوال وأعذار كاذبة .

2- بينما اصر الأعضاء العرب في مقابلة الوالي ، بأن تكون أصوات نوابهم في المجلس النيابي ، قرارية حسب المادة (15) من القانون الأساسي، إذ الوالي يرفض التسليم لهم بهذا الرأي، ويعتبر اصواتهم فيه استشارية ، ومعنى هذا أنه غير ملزم بتنفيذها، ولما استقال أربعة أعضاء من الحكومة الوطنية وهم: (مختار كعبار - احمد الشتيوي - عمر ابو دبوس - محمد الفقيه حسن) ، احتجاجاً على اعتبار أصوات النواب استشارية لا قرارية، وجد الطليان استقالتهم فرصة ذهبية، لإلغاء عضوية الأربعة الآخرين رغم رضاء هؤلاء بأن تكون أصواتهم استشارية.

3- لما رأوا الجيش الوطني، قد تمركز مع رمضان في سواني المشاشطة، لكي يتخلصوا من مقاومته لهم في المستقبل، بذلوا كل مساعيهم وجهودهم بواسطة عملائهم ، لاغرائه بالانضمام الى الجيش الايطالي، ونزوله معه بثكناته في المدينة، بزعم أن القانون

([38]) انظر: جهاد الابطال، ص264.

الأساسي وحد بين الطرفين العربي والإيطالي في كل الأمور[39].

سادساً: حزب الاصلاح وجريدة اللواء:

في 30 سبتمبر سنة 1919م أعلن الطرابلسيون رسمياً عن تأسيس حزب الاصلاح لأجل الدفاع عن مكاسب البلاد، وإيقاظ الوعي الجماهيري السياسي، وأسندوا رياسته الى أحمد بك المريض، ورياسة شرفه الى رمضان بك، وكان من أعضاء هذا الحزب النشيطين عبدالرحمن عزام، وخالد القرقني، وعثمان الغرياني مدير جريدة (اللواء الطرابلسي) وكانت أهم مبادئ الحزب:

1- المحافظة على حقوق الطرابلسيين الواردة في القانون الأساسي كاملة.

2- التعجيل بتنفيذ القانون الأساسي، خصوصاً مايتعلق بالإصلاح، وماينص على تدريب الطرابلسيين على حكم أنفسهم حتى يصلوا إلى حريتهم في أقرب وقت.

3- تحقيق التضامن بين العرب والإيطاليين على أساس المساواة التامة واتحاد المصالح.

4- نشر التعليم بكل الوسائل، مع المحافظة على العادات الإسلامية، لتدعيم الأخلاق العربية.

5- بذل العناية لإصلاح الحالة الإقتصادية وتوزيع الثروة الوطنية على أساس عادل.

وأنشأوا جريدة اللواء الطرابلسي لتكون لسان حاله. وكان الحزب يستمد قوته من الشعب، واستندت الحكومة الوطنية على الحزب في تأييدها وإقناع الطليان بمطالبها، وأبدى الطليان مراوغة في انتخاب مجلس النواب الذي ينص عليه القانون الأساسي، فكان حزب الإصلاح الوطني يطالب بتنفيذه، وكانت جريدة اللواء الطرابلسي تشير إلى هذا المعنى في جرأة وشجاعة فائقة، فكانت الحكومة الوطنية، والحزب الوطني والجيش الوطني يؤيد بعضها بعضاً في المطالبة بحقوق الأمة وإلزام الطليان بتنفيذ القانون الأساسي، ورأى الطليان خطورة الموقف، فعملوا على إفساد هذا الصلح[40]، وشرع

([39]) انظر: رمضان السويحلي، ص219.

([40]) انظر: جهاد الابطال، ص267،266، 268.

الوالي الإيطالي وأعوانه يبذرون بذور الشقاق بين الزعماء ويديرون حملة عدائية ضد القادة، ويحركون كوامن الحقد والعداء[41].

يقول الأستاذ التليسي عن تلك الفترة: (ففي مجال العمل السياسي عملت إيطاليا على إثارة الفتنة والإنشقاق والإنقسام بين صفوف الزعماء، وسعت إلى إستمالة بعض الفئات وتأليبها على الفئات الأخرى، وكان أهم ماتوخته في هذه الفترة العمل على احداث انقسام بين مصراته وورفلة، وبين ترهونة ومصراته، ثم بين زعماء الجبل الغربي، ولامناص من الاعتراف بأن السياسة الإيطالية التي فشلت عسكرياً في هذه المرحلة التي أعقبت القرضابية قد نجحت نجاحاً كبيراً في إحداث الصدع بين الصفوف، بحيث لم تستأنف العمليات في عهد (فولبي) إلا بعد أن أوجدت من ذلك الإنقسام قاعدة كبيرة تعتمد عليها عملياتها[42].

لقد انتهز الإيطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة وبين البدو والحضر من جهة أخرى وبين سكان البلدان المتجاورة أيضاً، واشتغل بعض الزعماء المخلصين بإخماد نار الفتن ومحاولة رتق الفتوق في كل جهة، ولكن الخروق اتسعت على الراقع، وكلما حاول دعاة الإصلاح اطفاء نار الفتنة من جهة، أوقد الإيطاليون ناراً أخرى من جهة أخرى، ونفخوا في جمرها من جديد[43].

وكانت من أكبر الفتن الحرب الطاحنة بين الزنتان والبربر فقدت بها طرابلس من أبنائها مالايعلم عدده إلا الله، وقعت الحرب الأولى بينهم 1916م وخلفت من الضغائن بين الفريقين ماكان سبباً من أكبر الأسباب في الحرب الثانية التي دارت رحاها في سنتي 1920م،1921م[44]. استغل الإيطاليون ذلك الصراع، وتلك الفتن، وتحركت جيوشهم للقضاء على الطرابلسيين، فاحتلوا يفرن في 31 أكتوبر سنة 1922م وكان معهم من الليبيين العملاء الذين انضموا إلى الجيش الإيطالي عدد كبير، وفي 17 نوفمبر 1922م احتلت غريان وبدأت المدن تتساقط أمام الجيوش الإيطالية، وانتهى الصراع بين

---

(41) انظر: السنوسية دين ودولة، ص252.

(42) انظر: معجم المعارك ، ص59،58.

(43) انظر: عبدالنبي بالخير داهية السياسة وفارس الجهاد ، ص113،112.

(44) انظر: جهاد الابطال، ص285.

مصراته وورفلة بمقتل رمضان السويحلي في عام 1920. لقد كانت فترة مابعد صلح بنيادم 1919م من أتعس الفترات التي مر بها التاريخ الليبي المعاصر، فترة سواد يتحاشى المؤرخ الحديث عنها.

لم تستطع الحكومة الوطنية التي تكونت بعد الصلح، أن تصنع شيئاً، وكل ماتقرره لاينفذ لان الزعامات كانت تتناحر داخلها، وذلك لايستغرب من حكومة في جمهورية لها أربعة رؤساء.

وهكذا ولدت الجمهورية وفي جسمها جراثيم هلاكها، إذ أن جمهورية يحكمها أربعة، لابد أن تغرق سفينتها بمجرد اقلاعها من الشاطئ، فتعدد الربابنة مدعاة لاغراق السفينة[45].

وقد صور الأستاذ خليفة التليسي تلك الفترة المظلمة فقال: (يلاحظ أن هيئة الإصلاح المركزية لم تكن حكومة بالمعنى المفهوم للحكومة، وأن كثيراً من المناطق قد ظلت غير خاضعة لحكمها ونفوذها، كما أن بعض الزعامات قد ظلت محافظة على موقفها الفردي، وكانت تستقل في كثير من الحالات بتقدير الوضع السياسي على أساس جهوي، وبما تقتضيه مصلحة منطقتها، أو مقاطعتها، وأحياناً قبيلتها وعشيرتها، مما انعدم معه عنصر الوحدة الوطنية الملزمة بالموقف الموحد، خاصة في هذا الظرف العسير، بحيث يعد الخروج عليه، أو التخاذل عنه خيانة تحسب على الخارج أو المتخاذل، وكانت هذه الثغرات التي نفذ منها الإيطاليون واستطاعوا استغلالها أحسن استغلال، وقد فطن الوطنيون إلى الخطر الكامن وراء انعدام توحد القيادة، ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان، وقد نتج عن ذلك تعدد في المواقف، واختلاف في وجهات النظر، وترك الأمر للاجتهاد الخاص، يحدد الموقف ويرسم الطريق، فرأينا بعض الزعماء يعارضون - عن اجتهاد خاص - المقاومة المسلحة لإيطاليا عقب نزولها بقصر أحمد، ورأينا آخرين يقفون على الحياد، كأن الأمر لايتصل بهم من قريب أو بعيد، ورأينا بعضهم يتشبث بأن يكون صاحب الكلمة النهائية في إبرام الهدنة، نظراً لأن الاعتداء واقع على أرضه (بالمعنى الجهوي)، وهكذا تحددت مواقف الزعماء في تاريخنا في كثير من الحالات على أساس جهوي، وكان لكل جهة صاحب يتولى أمرها ويقرر مصيرها ويحدد موقفها، وانعدام القاعدة السياسية قد عرض مواقف الزعماء وشخصياتهم لكثير من الخلخلة

---

(45) انظر: عبدالنبي بالخير، ص103.

والاهتزازات)[46].

سابعاً: مؤتمر غريان:

بعد التطورات الخطيرة، والانشقاقات العظيمة، التي وقعت بين الزعماء، رأى عقلاء طرابلس ضرورة الاجتماع في مؤتمر عام ليتدارسوا الأوضاع الراهنة، ويتخذوا حيالها موقف مشترك.

اجتمع المؤتمر في شهر ربيع الأول 1339هـ، نوفمبر سنة 1920م بعد أن اختار كل بلد من يمثله ماعدا بلاد البربر وأسفرت النتيجة عن انتخاب:

أحمد بك المريض	رئيساً
الأستاذ عبدالرحمن بك عزام	مستشاراً
محمد بك فرحان	عضواً
الصادق بك الحاج	عضواً
عمر أبو دبوس	عضواً
صالح بن سلطان	عضواً
التهامي قليصة	عضواً
الشيخ أحمد الرحيبي	عضواً
العيساوي بوخنجر	عضواً
محمد التايب	عضواً
عثمان القيزاني	عضواً
علي بن تنتوش	عضواً
مختار كعبار	عضواً

---

(46) انظر: عبدالنبي بالخير، ص121.

عبدالرحمن زبيدة	عضواً
الحاج محمد بن عمر	عضواً
عبدالسلام الجدايمي	عضواً
نوري السعداوي	عضواً
بشير السعداوي	عضواً
حسين بن جابر	عضواً
سالم البحباح	عضواً
الصويعي الخيتوني	عضواً

وقد اختار المؤتمرون أحمد بك رئيساً للمؤتمر وكانت الظروف إذ ذاك تتطلب ذلك، فرمضان السويحلي قتل، وسليمان الباروني امتنع عن الحضور لأنه كان متأثراً بالحرب التي وقعت بين الزنتان والبربر، وأرسل إليه أحمد بك المريض بعد انتخابه رئيساً للمؤتمر بأنه مستعد للتنازل له عن الرياسة فأبى وحاول المؤتمر اقناعه فامتنع، واستمر المؤتمر في أعماله الوطنية، وامتنع عبدالنبي بالخير عن الحضور بسبب مقتله لرمضان السويحلي، ومثل أرفلة عبدالرحمن زبيدة ومحمد العيساوي[47] وأصدر المؤتمر بعد انتهاء جلساته قراراً هذا نصه: (إن الحالة التي آلت إليها البلاد لايمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة قادرة ومؤسسة على مايحقق الشرع الإسلامي بزعامة مسلم ينتخب من الأمة لايعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس النواب، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية، بأكملها بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها، وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة)[48].

وانفض المؤتمر، وأبلغ قراراته إلى الحاكم الإيطالي في طرابلس وقرر إرسال وفد إلى روما ليطالب بتنفيذ قراراته. وكان الوفد يتكون من: محمد بك فرحات الزاوي رئيساً، ومحمد نوري السعداوي، والصادق بن الحاج، وخالد القرقني، وعبدالسلام البوصيري، واستطاع هذا الوفد أن يتصل برؤساء الأحزاب في إيطاليا ومحرري الجرائد، وتمكن

([47]) انظر: جهاد الابطال، 299، 300.

([48]) انظر: جهاد الابطال، ص301.

من إعلان قضيته في بعض الجرائد وامتنعت الحكومة، وأصحاب القرار عن الاجتماع بهم، وقام والي طرابلس بإرسال وفد ليبي مناهض لوفد مؤتمر غريان، وأسفرت نتيجة الوفد الوطني عن الرجوع بخفيّ حنين، وتأزم الموقف بعد رجوع الوفد، وقام الطليان بنشاط عسكري، لمقاومة الروح الوطنية، واعتقلوا أناساً من حزب الإصلاح الوطني[49].

كانت الفتنة بين طرابلس وبرقة قد اشتدت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وحصل فتور بين البرقاويين والطرابلسيين، واستمر لمدة خمس سنوات، وترتب على ذلك تعدي على الأموال والأشخاص[50].

وكان عقلاء طرابلس وبرقة لاترضيهم تلك الحالة المزرية التي لايرضى عنها عقل، ولاشرع، ولاعرف وبادر السيد أحمد المريض بإرسال رسالة لأخيه الأمير محمد ادريس السنوسي، وكانت مليئة بالمعاني الرفيعة والعبارات السامية، ورد على تلك الرسالة الأمير محمد ادريس وترتب بعد ذلك اجتماع سرت العظيم[51].

ثامناً: اجتماع سرت :

اجتمع الوفدان الطرابلسي والبرقاوي في سرت، وكان يمثل الوفد الطرابلسي كل من أحمد بك السويحلي، وعبدالرحمن بك عزام، وعمر بو دبوس، ومحمد نوري السعداوي، والشتيوي بن سالم، والصويعي الخيتوني، والحاج صالح بن سلطان، ويمثل برقة كل من: الشيخ صالح الأطيوش، والشيخ نصر الأعمى، والشيخ خالد القيصة، والشيخ صالح السنوسي بن عبدالهادي البرّاني، وشرع المجتمعون في استعراض الحال التي وصلت اليها البلاد، ومعالجة أسباب الخلاف وخرجوا بهذه القرارات التي اتفق عليها ممثلوا طرابلس وبرقة.

(الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم خير أمة للعالمين، والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة الذي جاء يدعونا إلى العزة والإباء، ويعلمنا كيف نقاتل الأعداء وبعد: فقد اجتمعنا نحن الموقعين على هذه المعاهدة المفوضين من قبل طرابلس وبرقة، وقررنا بعد مداولة الفكر المواد الآتية المتضمنة

---

(49) المصدر السابق نفسه، ص303.

(50) المصدر السابق نفسه، ص304.

(51) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص256.

اتفاق القطر الطرابلسي البرقاوي على الاتحاد والتعاون في السراء والضراء:

يجب ان نوحد كلمتنا ضد عدونا الغاصب لبلادنا وضد المفسدين.
يجب أن يكون عدوناً واحداً وصديقنا واحداً .
إن كافة ماوقع بين الطرفين من التجاوز لا يطالب به أحد الآخر الى أن تستقر الحالة في الوطن، وتتعين وضعية البلاد العمومية. ومع ذلك يجب أن يسعى الطرفان في المسامحة بين العربان، ومن يتعدى بعد الآن فعلى الحكومة التابعة لها أن تعاقبه بما يستحق .
كل من يخالف الجماعة ويدس الدسائس الأجنبية، على الحكومة المنسوب إليها إعدامه ومصادرة أمواله حسب الشريعة الاسلامية.
يرى الطرفان أن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع ضد العدو المشترك تقضي بتوحيد الزعامة على البلاد، ولذلك يجعلان غايتهما انتخاب أمير مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة.
يتخذ الطرفان الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة في المادة الخامسة، وأن تكون تولية الأمير بإرادة الأمة.
متى تحققت الغاية المذكورة في المادة الخامسة يجب انتخاب مجلس تأسيسي من الفريقين لوضع القانون الاساسي والنظم اللازمة لإدانة البلاد، وقبل ذلك، وتمهيداً لهذه الاعمال، يجب على الفريقين أن يرسل كل منهما مندوباً للبلدين لأجل أن يشتركا في سياسة البلاد والتدابير المقتضاة للدفاع عن الوطن.
يتعهد الطرفان بألا يعترفوا للعدو بسلطة، وأن يمنعوه من بسط نفوذه خارج الاماكن المتحصن بها الآن، وفي حالة وقوع حرب يتظافر الفريقان على حرب العدو، وألا يعقد صلحاً أو هدنة إلا بموافقة الفريقين.
إذا خرج العدو من حصونه مهاجماً جهة من الجهات وجب على الجهة الأخرى أن تمد المهاجم بالمهمات الحربية والمال والرجال، وأن تنذر العدو بالكف عن التجاوز وإذا لم يكف تهاجمه هي بدورها.
تجمتع هيئة منتخبة من أهالي طرابلس وبرقة مرتين في كل سنة في شهر المحرم ورجب للنظر في مصالح البلاد.
يشترط أن توافق على هذه المعاهدة كل من حكومة برقة والهيئة المركزية في جهة طرابلس.
مهمة الهيئة المذكورة تأييد العلائق الودية بين الطرفين وتأييد هذه الاتفاقية[52].
قصر سرت في يوم السبت 22 جماد الاولى سنة 1340هـ (21 يناير سنة 1922م).

كانت الحكومة الايطالية تتابع الأخبار ومايدور بين برقة وطرابلس، وخافوا أن يترتب

([52]) انظر: جهاد الابطال، ص307.

على اتفاق طرابلس وبرقة مالا تحمد عقباه، فقرر وولبي احتلال مصراته قبل أن يصل الليبيون الى نتيجة في مؤتمر سرت، واستطاع الطليان أن يحتلوا قصر حمد وبدأ الجهاد من جديد، وأراد الطليان أن يخدعوا المجاهدين ودعوا الى عقد المفاوضات في فندق الشريف لكسب الوقت وإعداد العدة، وانتظار المدد من ايطاليا، واستمرت المفاوضات واتضح للمجاهدين أن الطليان عازمين على الحرب ، وانقطعت المفاوضات في يوم 10 ابريل سنة 1922م واستعد كل من الطرفين لما تتمخض عنه الايام المقبلة.

وكان من أقوى العوامل التي جعلت والي طرابلس وولبي يتشدد مع المجاهدين ويرفض مطالبهم ظهور الفاشستية في ايطاليا، وأصبحت وشيكة أن تستولي على مقدرات إيطاليا[53].

وكانت من مبادئهم المنحرفة الوصول الى أغراضهم بكل وسيلة ولا يجدون في نفوسهم غضاضة اذا كانت اعمالهم مخالفة للانسانية او للحقوق العامة متى كان فيها مصلحة لهم او لبلادهم، ولا يستحون من أن يعلنوا صراحة بأنهم لايعرفون الحرية، ولا يقدسون الحقوق العامة، ولا يحترمون العهود متى كان ذلك ضرورياً لمصلحة ايطاليا[54].

يقول شكيب ارسلان: (لموسوليني خطب كثيرة وكتابات بتوقيعه تؤخذ منها هذه المقاصد بدون إشكال، فلهذا لم تبق في ايطاليا لا حرية قول، ولا حرية كتابة، وكل شيء يصادم إرادة الفاشست فهو ممنوع)[55].

بعد انقطاع مفاوضات فندق الشريف في 10 ابريل سنة 1922م استئنفت الحرب من جديد، وأصبح الطليان يتوغلون في طرابلس، والمجاهدون يتراجعون أمام هجماتهم الشرسة.

فرأى الطرابلسيون ارسال وفد الى الأمير محمد ادريس ليبايعوه بالامارة تنفيذاً لما قررته هيئة الاصلاح المركزية في فندق الشريف، وكان ذلك الوفد يتألف من الشيخ محمد بن حسن، والشيخ محمود المسلاتي، والشيخ طاهر الزاوي، ووصل الوفد اجدابية

---

(53) انظر: جهاد الابطال، ص308 الى 316.

(54) المصدر السابق نفسه، ص316.

(55) انظر : حاضر العالم الاسلامي.

في شوال عام 1340هـ وقابل الأمير محمد ادريس، وأبلغه الوفد هدفه الذي جاء من أجله، فأعتذر عن الذهاب الى طرابلس لشدة الحر، وانحراف صحته، ووعد بالسفر عندما تتحسن صحته(56).

وحرصت ايطاليا أن تشتشف ماوصل إليه زعماء برقة وطرابلس ، فأرسلت أمندولا وزير المستعمرات الايطالية للدخول في مباحثات مع الامير ادريس واشترط الايطاليون قبل الدخول في المباحثات أن يغادر بشير السعداوي ممثل الحكومة الوطنية الطرابلسية اجدابية وكان الأمير ادريس يأمل أن يصل الى ايقاف الحرب بين ايطاليا والطرابلسيين ولذلك طلب من بشير السعداوي وزملاؤه أن يخرجوا الى الطبيل(57).

وبعد ذلك حضر وزير المستعمرات الايطالي الى غوط الساس بالقرب من المرج، وألتقى بالأمير محمد ادريس في 22 يونيه 1922م وعمل على اقناع امندولا بضرورة تهدئة الأحوال في طرابلس، وبعد انتهاء المباحثات أرسل الأمير ادريس الى بشير السعداوي وزملاؤه كلا من صالح الأطيوش، والفضيل المهشهش وأحد أبناء الكزة وسلم هؤلاء كتاباً لبشير السعداوي من سمو الأمير أخبره فيه بمقابلته مع وزير المستعمرات في غوط الساس، وبحث القضية الطرابلسية معه؛ وبأن المباحثات قد أسفرت عن إظهار إيطاليا استعدادها للصلح معها، وفضلاً عن ذلك فقد جاء الجماعة بكتاب آخر من الأمير موجهاً الى رئيس هيئة الاصلاح المركزية بهذا المعنى. فبادر بشير السعداوي بأنه يعتزم العودة فوراً الى طرابلس لإتمام البيعة ووعد بالعودة سريعاً الى اجدابية يحمل معه البيعة(58).

وغادر بشير السعداوي برقة الى طرابلس، وبمجرد وصوله الى مصراته اجتمع بالزعماء الطرابلسيين ونادى بالبيعة لسمو الأمير محمد ادريس مستنداً في ذلك الى أنه لاسبيل الى الخلاص البتة إلا بالاتفاق والتعاون ضد العدو الايطالي، وكتب بشير السعداوي نص البيعة بنفسه ثم ذهب بها من مصراته الى مسلاته ثم الى غريان، وهناك كانت هيئة الاصلاح المركزية مجتمعة برئاسة احمد المريض فقرأ عليهم البيعة ووافق

---

(56) انظر: جهاد الابطال، ص323.

(57) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص258.

(58) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص258.

هؤلاء عليها بالإجماع ودون مناقشة[59].

وما أن علم الطليان بتلك التطورات ومجيء الوفد الطرابلسي الى اجدابية حتى ثارت ثائرتهم، وأعلمت الحكومة الايطالية الأمير محمد ادريس بأنها لم تتوانى عن مهاجمة إجدابية ذاتها، ولما أدرك الامير ادريس خطورة الموقف بدأ يبذل قصارى جهده لإقناع الحكومة الايطالية، بأن الطرابلسيين ماقصدوا بما فعلوه سوى حقن الدماء وفض خلافهم مع إخوانهم أهل برقة، وأن واجب الحكومة الايطالية يتحتم عليها أن توقف اعتداءاتها على الطرابلسيين فضلاً عن ان كان للامير على حسب اتفاق الرجمة الحق في أن يعرض مايراه في مصلحة البلاد على الحكومة الايطالية، كما أن معاهدة الرجمة قد ألزمت الطليان كذلك بأن يضعوا موضع الأعتبار كل مايبديه الأمير من آراء في ذلك[60].

تاسعاً: نص البيعة بالإمارة:

تقرر أن يذهب السيد بشير السعداوي بوصفه مندوباً من هيئة الاصلاح على رأس وفد لتسليم كتاب البيعة الى الأمير محمد ادريس، وكان ضمن هذا الوفد كل من عبدالرحمن عزام، محمد الصادق بالحاج، نوري السعداوي، الشيخ محمد عبدالملك. ووقع على كتاب البيعة أحمد المريض رئيس هيئة الاصلاح المركزية وعبدالرحمن عزام مستشارها، ثم أعضاء الهيئة ، محمد بن عمر، وبشير السعداوي، وحسين بن جابر ، ومحمد فرحات، وعبدالرحمن زبيدة، ومحمد التائب، وسالم البحباح، وعثمان القيزاني، وعمر بودبوس، ومحمد صادق بن الحاج، محمد مختار كعبار، ومحمد فكيني، والصويعي الخيتوني، كما وقع على البيعة من الاعيان محمد الديب ومحمد سوف وعمر ضياء، وعلي ابو حبيل ، وأحمد القاضي، ومحمد القرقني، وأحمد السني، والبغدادي بن معيوف، ومحمد الصغير المريض وهذا نص البيعة:

(سمو مولانا الأمير الجليل السيد محمد ادريس حفظه الله ورعاه أنه لايخفى علىسموه أن الخلاف مايزال قائماً بينهم وبين الحكومة الايطالية (ذلك لأن الحكومة الايطالية وجهت عزمها الى العبث بجميع حقوقنا شرعيها ، وسياسيها، وإداريها، وجعلت من قوتها مبرراً للتصرف في مصيرنا وحقوقنا الطبيعية، ونحن خير أمة أخرجت للناس لانتحمل ضيماً

---

[59] المصدر السابق نفسه، ص259.

[60] انظر: السنوسية دين ودولة ، ص259، 260.

ولا نرضى أن تضمحل شريعتنا ولا أن يتطرق الخلل الى ديننا القويم كائناً ماكان، الأمر الذي حملنا على ركوب الأخطار واقتحام الحروب المتوالية، معتمدين على قوة الحق الى أن نظفر بتحقيق أمنيتنا القومية ألا وهي تاسيس حكومة دستورية يرأسها أمير مسلم جامع للسلطات الثلاثة الدينية والسياسية والعسكرية، مع مجلس نيابي تنتخب الأمة أعضاءه، وبهذا يسلم وطننا ويتم أمر ديننا وتصلح أحكام قضايانا ونحفظ شرعنا، وعنعنة تاريخنا الباهر، وهذا لاينافي ماتدعيه ايطاليا وما دأبت عليه من خطب رجالها من أنها لم تحتل ديارنا بنية الاستعمار، وإنما ساقتها دواعي السياسة الدولية في البحر المتوسط، ولو كانت صادقة في دعواها هذه لما عرضت بلادنا للخراب بتوالي الهجمات، واستعمال دهائها وقدرتها للتفريق والفوضى، وقد حاولت فصل الأمة بعضها عن بعض بطرق مختلفة وأبى الله إلا أن يجمع كلمة القطرين الشقيقين بأن يلتفا حول أمير واحد يرضيانه وحيث كان سموكم من أشرف عائلة وأكرم بيت مع ما تجتمع في ذاتكم الشريف من المزايا العالية، والأوصاف الجليلة فإن (هيئة الإصلاح المركزية) الحائزة للوكالة المطلقة من (مؤتمر غريان) الذي يمثل الأمة الطرابلسية، بانتخاب واقع منها قد وجدت في سموكم أميراً، حازماً قادراً على جمع الأمة للثقة العامة محبوباً، فهي لذلك تبايع سموكم أميراً للقطرين طرابلس وبرقة على أن تقودهما إلى ما يحقق أمانيهما الشريفة الإسلامية المنوه عنها. على أن مبايعتكم كانت مضمرة في كل نفس منذ وقع الاتحاد بين مندوبي القطرين في (سرت) وكان السبب في تأخير تحقيقها طوارئ الحرب التي طوحت بكل واحد من أعضاء الهيئة، ورجال القطر في منطقة شاسعة من المناطق الحربية. وبهذه البيعة إن شاء الله أصبح سموكم الأمير المحبوب للقطرين المباركين، ومتى سنحت الفرصة عند تشريفكم إيانا حسب رغبة الأمة تقام لكم مظاهر هذه البيعة في موكب لائق بسموكم. والله سبحانه وتعالى يمدكم بروح من عنده ويجعل البركة في البيت السنوسي المؤسس على التقوى والصلاح)[61].

وبادر الأمير محمد ادريس بمصافحة تلك اليد الممدودة وقبل البيعة دون تردد وأجاب على كتاب البيعة في 22 ربيع الأول 1341هـ (22 نوفمبر 1922م) فقال: (وبعد فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التي أظهرتم فيها رغبتكم الخالصة في تحقيق غايتكم التي أجمعتم عليها في مؤتمر غريان وجهادتم لها جهاداً صادقاً بالأنفس والثمرات في شخصي فأخذتها داعياً الله أن يحقق آمال هذه الأمة ويكلل مساعيها كلها بالنجاح. ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التي طالما سعيت إليها وجدت من واجبي أن أتلقى

([61]) انظر: السنوسية دين ودولة، ص262.

طلبكم بالقبول وأن أتحمل المسؤولية العظمى التي رأت الأمة تكليفي بها، فعلي إذن أن أعمل بجد معكم، ولكن لاتنسوا أنني بغير إقدامكم وجدكم لاقدرة لي على شيء. إني أعلم أن الحياة الخالدة هي للأمم لا للأفراد، وكذلك الأعمال العظيمة الباقية هي التي تنصرف إلى صالح الجميع، فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى كل عمل ثمرته للأمة. إذ من حق كل شعب أن يسيطر على شئونه، والناس منذ نشئوا أحراراً. وقد أظهر شعبنا في كل أدواره مقدار محبته للحرية فدفع مهوراً غالية، فلا يصح لأحد أن يطمع في استعباده والاستبداد بشئونه. لقد اشترطتم علي الشورى وهي أساس ديننا، وسأعمل على قاعدتها. هذا وقد رأيت أن أقر الأمور على ماهي عليه حتى تجتمع جمعية وطنية لوضع نظام البلاد، فلذلك أكل إلى الهيئة المركزية لما أبدت من الحمية، والعدل، والدراية أن تستمر على إدارة شئون القطر الطرابلسي، ولي الثقة العظيمة في حكمة رئيسها البطل الحازم أحمد بك المريض ورفقائه والرؤساء الكرام الذين أيدوا مساعي الهيئة الملية أن يتحملوا مشاق المسؤولية بصبر لتثبيت دعائم البناء الوطني الذي شيدوه وأسأله تعالى أن يمد الجميع بعنايته ويثبت الأقدام ويقهر الأعداء ويمن بالنصر الموعود، انه على مايشاء قدير)[62].

حاول مستشار الأمير محمد ادريس عمر منصور الكيحيا أن يوافق بين سياسة الأمير ادريس مع الطليان، وحرصه على وحدة الصف واجتماع الكلمة تحت زعامته، وانعقدت اجتماعات ومناقشات واستمر هذا الميدان مفتوحاً نحو أربعين يوماً ولم يهتد الباحثون إلى الحل المطلوب إلا بمغادرة الأمير محمد ادريس اجدابيا إلى مصر في اليوم الثاني من جمادي الأولى سنة 1341هـ 21 ديسمبر سنة 1922م)[63]، وكان ذلك السفر بسبب مرض ألمّ به ونصحه الأطباء بالذهاب إلى مصر للعلاج، وكان قبل سفره قد تعكرت وتغيرت العلاقات السنوسية مع ايطاليا، وحدثت بعض الاشتباكات بين الطليان والعربان بسبب حرص الطليان على نزع السلاح منهم، وتمّ اعتقال الشيخ صالح العوامي ظلماً وزوراً، وكانت هناك محاولة أخرى للقبض على صفي الدين ولكنها باءت بالفشل، بسبب الخبر الثمين الذي سربه عثمان العنيزي إلى صفي الدين محذراً إياه من غدر الطليان به.

إن الأمير محمد ادريس اتخذ قرار الهجرة إلى مصر بعد دراية وافية للمرحلة التي مرت

([62]) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص262.

([63]) انظر: جهاد الابطال، ص331.

بها البلاد، وللتطورات السياسية والعسكرية التي حدثت على الساحة، فالحل العسكري كان يعرف باستحالته منذ البداية وكان يعمل مافي وسعه لإقناع الآخرين بذلك للمحافظة على دماء المواطنين التي كانت تهدر بدون نتيجة مما كان سيسبب في إحباط الروح المعنوية وتمكين العدو، فقد كان يرأى أن المقاومة الليبية المسلحة لن يمكنها بأي حال من الأحوال دحر القوات الإيطالية.

ثم إن المجهودات الدبلوماسية التي كان يقوم بها قد أعطت كل مايمكنها أعطائه في تلك المرحلة، فرحل عن البلاد ليحتفظ بحريته ويراقب الوضع الدولي ويتحين الفرص[64].

لقد تعرض الأمير ادريس للانتقاد بدعوى أنه ترك شعبه أثناء منعطف تاريخي هام في عام 1922م، لقد حاول الإيطاليون قتله بالسم[65]، وتنامت الخلافات والمشاكل بينه وبين الحكومة الإيطالية حتى لم يجد في مقدوره التغلب عليها، فمعاهدة الرجمة لاتعدو كونها محاولة عقيمة لإقامة نوع من الحكم الثنائي يشارك فيه الإيطاليون والسنوسيون معاً، ولم يقدر لها النجاح أبداً من الناحية العملية، ثم انقطع الرجاء في استمرارها نهائياً عقب استيلاء الفاشست على مقاليد السلطة في إيطاليا، ولم يعد من المصلحة البقاء في وجود نظام فاشي، فلو أن الأمير محمد ادريس أصر على البقاء داخل ليبيا في ذلك الوقت لكانوا قبضوا عليه حتماً، وكانت أهميته القصوى بالنسبة لليبيين تكمن في سعة نفوذه وهيبته في العالم الإسلامي كزعيم للحركة السنوسية، وحنكته في أساليب التفاوض السياسي، وخبرته بالقضايا الدولية، وقد ظهر أثره في الحرب العالمية الثانية، واستفاد من الفرص التي اتيحت، وشكل الجيش السنوسي الذي خاض معارك ضارية ضد إيطاليا وألمانيا، وساعد ذلك الجيش الحلفاء مما اضطرهم بالإعتراف بالجهود التي بذلها الليبيون واستفاد الأمير محمد ادريس من تلك الأعمال الجليلة في مباحثاته ومفاوضته مع الإنجليز[66].

إن فترة المهجر التي عاشها الأمير محمد ادريس في مصر كانت من أصعب أيام حياته فقد قال عنها: (وكانت تلك الفترة تعيسة للغاية، فقدت أثنائها الكثيرين من أخلص أصدقائي وأنصاري الذين استشهدوا في معارك الجهاد ضد الإيطاليين، كما غمرني

---

(64) انظر:تعليق محمد عبده بن غلبون على كتاب الملك ادريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ص43.

(65) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص262.

(66) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا، ص44.

الحزن والأسى الشديد لمعاناة أهل برقة. وعقب احتلال الكفرة دمّر المسجد الذي كان يضم رفات والدي ونهبت وبعثرت محتويات المكتبة التي كان فيها الكثير من كتبنا ومخطوطاتنا. وماكان يشد من أزري عبر تلك الظروف العصيبة سوى ثقتي بالله وتعاطف أصدقائنا في العالم العربي)[67].

إن الأمير محمد ادريس قبل أن يغادر البلاد حاول تنظيم أمور المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي، وبحث الأمر مع زعماء ورؤساء برقة من جانب، ومع بشير السعداوي والوفود الطرابلسية من جانب آخر.

واستقر رأي الأمير على أن يعهد بالأعمال السياسية والعسكرية في برقة إلى عمر المختار نائباً عنه في تنظيم معسكرات المجاهدين وعهد بالمسائل الدينية، ومايتعلق بالسنوسية وشئون الأسرة الكريمة إلى أخيه السيد محمد رضا، وكان السيد محمد الرضا في جالو نائباً عن سموه في إدارة شئونها، وزود الأمير رجاله بالتعليمات اللازمة وأوصاهم باتخاذ الحيطة دائماً من غدر الطليان، واتفق مع الشيخ عمر المختار على بعض القادة ليكونوا رؤساء على معسكرات المجاهدين في برقة، ومن هؤلاء القادة السيد محمد الصديق بن محمد رضا وأخيه الحسن، وقجة عبدالله السوداني، والفضيل بوعمر، ويوسف بورحيل، وحسين الجويفي، وعبدالله سلوم على أن يتولى قيادة هذه الجيوش جميعاً الشيخ عمر المختار[68].

وبحث الأمير مع بشير السعداوي مسألة استمرار الجهاد في طرابلس ضد الطليان، وقبل ذلك تقدم بشير السعداوي بمشروع إنشاء هيئة مركزية في برقة من رؤساء القبائل تضطلع بأعباء الإدارة، واختار الأمير لرئاستها الشيخ مختار الغدامسي وهو من القضاة الشرعيين ومن أكابر علماء البلاد، وبعد مغادرة الأمير إجدابيا عقدت الهيئة المركزية البرقاوية جلسات عدة للبحث في شئون البلاد وتهيئة وسائل الجهاد ضد العدو الإيطالي النصراني الحاقد، وحضر بشير السعداوي جلسات الهيئة، وعرض على الحاضرين تشكيل جبهة متحدة من برقة وطرابلس لمتابعة الجهاد ضد إيطاليا دون أي إبطاء، وبعد تبادل الرأي وافق الحاضرون على رأي السعداوي.

وتأهب السعداوي للسفر إلى طرابلس وكان معه صفي الدين السنوسي في 21 رجب

---

(67) المصدر السابق نفسه، ص47.

(68) انظر: السنوسية دين ودولة، ص267.

1341هـ (9 مارس 1923م) وكان في رفقتهم مجموعة من خيار المجاهدين من أمثال أحمد باشا سيف النصر، وعمر سيف يقول صفي الدين (وعندما وصلنا إلى النوفلية وجدنا بها خالد بك القرقني وعثمان بك الجيزاني فارتحلنا جميعاً إلى سرت وفي أثناء الطريق وصلنا خبر مشئوم مفاده أن محمد سعدون السويحلي أخ رمضان السويحلي قد استشهد في القتال، وكان محمد سعدون من خيرة القواد الذين تولوا قيادة العمليات العسكرية في الحركة الأخيرة، على أننا تابعنا السير بعد ذلك حتى بلغنا سرت، وهناك قابلنا أحمد بك المريض، ثم ذهبنا إلى وادي نفد بين مصراته وورفلة، وفي ورفلة وجدنا أحمد شتيوي وهو من إخوة رمضان السويحلي، وكان شتيوي متصرفاً على مصراته ثم وجدنا معسكر المجاهدين العام)[69].

وقد بذل بشير السعداوي جهوداً عظيمة لحشد جموع المجاهدين حول السيد صفي الدين وتحت زعامة السنوسية، وكان قائد معسكر المجاهدين الطرابلسيين في وادي نفد حوالي ثمانية شهور من شعبان 1341هـ إلى شهر جمادي الأولى من عام 1342(إبريل - ديسمبر 1923م).

وبعد فترة من الزمن بدأ زعماء المجاهدين في ترك معسكر نفد ولم يبق إلا أحمد السويحلي وكانت القوات الإيطالية تتقدم وتحتل المدن في منطقة طرابلس، وقد ذكر الشيخ طاهر الزاوي كيف احتل الطليان منطقة طرابلس ومدنها بنوع من التفصيل[70]، واضطر صفي الدين امام انحلال المقاومة، وضعف حركة الجهاد أن يذهب إلى جالو وبعث إلى الأمير محمد إدريس بمصر يخبره بكل ماوقع فأجابه الأمير بأن له أن يختار إما البقاء في جالو وإما الذهاب إلى جغبوب، وارتحل صفي الدين إلى الجغبوب في صفر 1243هـ، سبتمبر 1923م.

وكان بشير السعداوي يواصل جهاده المرير بجمع كلمة المجاهدين، وعقد الاجتماعات لتحقيق هذه الغاية في القرضابية ثم في قصر بوهادي واستطاع أن يؤسس مركزاً للجهاد في المكان الأخير، وتسلم القيادة في سرت وجمع شتات المنهزمين، اللاجئين إلى سرت، وكانوا حوالي خمسين أو ستين ألفاً، وثبت المجاهدون في مصراته وترهونة أقدامهم

([69]) انظر: السنوسية دين ودولة، ص268.

([70]) انظر: جهاد الابطال، ص235 الى 262 .

نتيجة لهذا العمل، ولكن الطليان بقواتهم الجرارة، وطائراتهم استطاعوا القضاء على حركة المقاومة رويداً رويداً، ثم هاجموا في آخر الأمر ورفلة وعندئذ انحلت المقاومة تماماً، واضطر بشير السعداوي إلى مغادرة سرت في عام 1924م بعد أن مكث بها سنة تقريباً، وكان السعداوي رحمه الله من أشد المجاهدين تحمساً في هذه الفترة العصيبة، ومن أعظمهم مثابرة على الجهاد وكان يتحلى برجاحة العقل، والرزانة، والهدوء، ويتصف بالقدرة على النظر البعيد وتقليب وجوه الرأي في عواقب الأمور[71]، قال محمد فؤاد شكري: إن خروجه كان مؤذناً بأن الثورة قد انتهت فعلاً وأن الأمر قد استتب للطليان في طرابلس أخيراً، وأن برقة وحدها هي التي أصبحت تحمل على عاتقها عبء الجهاد منفردة ضد العدو، وكان والي برقة الجديد بونجيو فاني قد بدأ يحل الأدوار المختلفة في برقة عنوة واقتداراً وتم له ما أراد في الأسبوع الأول من شهر مارس 1923م فحلت الحكومة في 6 مارس معسكرات الأبيار وتكنس وسلنطة، والمخيلي، وعكرمة، وانتهز بونجيوفاني فرصة افتتاح الدورة البرلمانية في اليوم نفسه وهجم في البرلمان على السنوسية وقال: إن السنوسيين كانوا غير مخلصين للحكومة الإيطالية ثم أبلغ سامعيه التدابير التي اتخذها للقضاء على السنوسية، وكانت أولى التدابير احتلال اجدابيا ذاتها في 21 ابريل 1923م وهي مقر الإمارة السنوسية وفي 24 ابريل اعلن الوالي (أن كل الاتفاقات التي أبرمتها إيطاليا مع السنوسية قد أصبحت لاغية ولا أثر لها)[72] وفي أول مايو من السنة نفسها عاد بونجيوفاني فأكد إلغاء هذه الاتفاقات في منشور أعلن فيه (أن السنوسية قد أصبحت مجرد طريقة تشبه غيرها من الطرق الإسلامية وأن نشاطها يجب أن يظل نشاطاً دينياً محدوداً فحسب، وفي يوم 3 مايو ذهب الدروفاندي الوزير الإيطالي في مصر لمقابلة الأمير محمد ادريس وأبلغه أن الاتفاقات التي عقدتها إيطاليا معه قد أصبحت لاغية، ولا وجود لها يقول الأمير محمد ادريس: (بعد بضعة أشهر من قدومي إلى مصر أبلغني الوزير الإيطالي المفوض في القاهرة بأن حكومة موسوليني ألغت كافة العهود والمواثيق المعقودة مع السنوسيين، وكان ذلك في مايو 1923م وكان الإيطاليون قد ألقوا القبض على عمر باشا الكيخيا بتهمة التواطؤ في هروبي، فحبسوه أولاً في بنغازي ثم نقلوه إلى معتقل في إيطاليا، وبعدها بشهور قلائل

([71]) انظر: السنوسية دين ودولة،ص269.

([72]) انظر: السنوسية دين ودولة، ص270.

علمت أن الحكومة الإيطالية قد طلبت من الحكومة المصرية تسليمي اليها ووعدت بعدم تعريضي لأي أذى. وشعرت بالخطر المحقق نظراً لأن الملك فؤاد كانت أمه إيطالية وقد تربى في إيطاليا وتربطه بالإيطاليين علاقة حميمة ربما تدفعه إلى تلبية طلبهم ...)[73].

ومن ذلك الحين بدأ الجهاد بقيادة عمر المختار في برقة ضد إيطاليا من غير هوادة أو لين، أو ضعف، أو خوار وقبل الدخول في سيرة الشيخ عمر المختار العطرة نحاول أن نقف مع الأحداث السابقة لنتأمل في العبر والدروس لتسترشد بها الأجيال في مستقبلها.

إن من الأمور الخطيرة التي مرت بها البلاد فيما بين 1916و 1923م أن انقسم زعماء ليبيا إلى قسمين بالنسبة للأوضاع الدولية، في بداية الحرب العالمية الأولى مما ضاعف من توسيع هوّة الخلاف، فأهل برقة عقدوا مصالحة مع الإنجليز وإيطاليا وأهل طرابلس وقفوا مع الأتراك قلباً وقالباً، وحدث تنازع على النفوذ ووصل إلى حد القتال بين الأشقاء وبعد هزيمة الأتراك والألمان، وخروجهم من ليبيا جاءت فكرة الجمهورية الطرابلسية، ولم يستطيع الزعماء أن يتغلبوا على أهوائهم الشخصية، فانتهى بهم الأمر إلى مقتل رمضان السويحلي رحمه الله تعالى، وهاجر سليمان الباروني رحمه الله من البلاد، وأصبح مستشاراً لحكومة مسقط بدولة عمان وتوفي أثر مرضه ببومباي بالهند عام 1941[74]، وعبدالنبي بالخير رحمه الله توفي في الصحراء الكبرى أثناء هجرته إلى تونس بسبب العطش[75] وأحمد المريض رحمه الله توفي في الفيوم بمصر عام 1941م[76] ومحمد ادريس السنوسي رحمه الله أصبح لاجئاً سياسياً.

أقول: لو اتفق زعماء طرابلس في بداية أمرهم على قلب رجل واحد لكانت النتائج لصالح الإسلام والمسلمين، لقد كانت البلاد في تلك الفترة في أشد الحاجة إلى توحيد الكلمة تحت قيادة رجل له مدارك الباروني، وهدوءه وحياده، وذكاء عبدالنبي ودهاؤه، وصلابة رمضان وشجاعته، وحلم أحمد المريض وسعة صدره، وكان كل من يحاول من الزعماء أن يتطلع إلى الانفراد بالحكم في تلك الفترة المظلمة، انما يحاول المستحيل،

([73]) انظر: الملك ادريس عاهل ليبيا، ص45.

([74]) انظر: الاعلام للزركلي (129/3).

([75]) انظر: عبدالنبي بالخير داهية السياسة، ص251.

([76]) انظر: جهاد الابطال، ص333.

فكان من اللازم التضحية بنصيب من الانانية، والنعرة القبلية، ومحاربة الأهواء، ونبذ التعصب لتوحيد الشعب نحو مقصد الجهاد ضد المحتل الحاقد، ويختاروا زعيماً من بينهم ويقف الجميع لدعمه، ويقفلوا الأبواب على كل مخططات الأعداء التي تريد تمزيق الصف، وتعميق الخلاف، وضرب الزعماء ببعضهم، كما أن ماوصل إليه الطرابلسيون من وجوب توحيد جهودهم مع البرقاويين جاء متأخراً، وبعد فوات الأوان، ولو كان قبل ذلك بسنين أو في زمن قيادة أحمد الشريف لكان ذلك الاتحاد من عوامل النهوض، وأسباب النصر، ولقامت إمارة قوية تستطيع أن تتغلب على العدو المحتل، وتبني دولة عصرية قوية ولوجدت فيها الأجيال امتداداً حضارياً، وبعداً سياسياً، وانتماءً حقيقياً لمفهوم العقيدة والدين والأمة والشعب والوطن، لقد شبه أحد المؤرخين تلك المرحلة بفترة ملوك الطوائف في الأندلس، فالنزعة القبلية لاتزل في عنفوانها، ودكتاتورية زعيم القبيلة لايمكن محوها والتغلب عليها وإن كانت المنطقة الشرقية تغلبت عليها بالدعوة الشاملة، والتربية العميقة وبتوفيق الله تعالى ثم بسبب جهود الحركة السنوسية في قبائل برقة.

إن الدرس المهم هو أن يتغلب الزعماء على أهوائهم من أجل المصالح العليا للبلاد والعباد وإلا أصبحت بلادنا فوضى يسهل عندئذ لأعدائنا اختراقها، ومصّ خيراتها، وتشتيت رجالها، إن الخطاب لوحدة الصف، وتوحيد الجهود، نقصد به كل مسلم من أبناء ليبيا حريصاً على بلده وشعبه وأمته.

إن الابتعاد عن الهوى ومحاربته في النفوس من أسباب النهوض ومن الأمور التي أرشد الله تعالى لها زعماء الأمة وقادتها قال تعالى: {ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيُضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب} (سورة ص، الآية: 26). إن اتباع الهوى من أسباب الفرقة، والفرقة من أسباب تأخر النهوض، فإذن على المخلصين من أبناء شعبنا الحريصين على تحكيم شرع الله تعالى، محاربة الهوى وقلع جذوره وأسبابه من النفوس، إن محاربة الأهواء طريق نحو الاجتماع والائتلاف، ونحو الأخذ بأسباب النهوض والتمكين لهذا الدين، إن العلاج الناجع والبلسم الشافي لمن ابتلى بشيء من الهوى، إلزام النفس بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح وتربية النفس باستمرار على التقوى والخشية من الله تعالى، واتهام النفس ومحاسبتها دائماً فيما يصدر منها، وعدم الاغترار

بأهوائها وتزييناتها وخداعها، والإكثار من النفس على استنصاح الآخرين وتقبل الآراء الصحيحة الصائبة وإن كانت مخالفة لما في النفس، وتعويدها على التريث وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام، وإمضاء الأعمال، والحذر من ردود الأفعال التي قد يكون فيها إفراط وتفريط، وغلو أو تقصير، وجهل وبغي وعدوان، وإكثار المرء من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبه اتباع الهوى ومضلات الفتن، ويسأله تعالى أن يوفقه لقول كلمة الحق في الغضب والرضا. ويكثر من الدعاء الذي علمه رسول الله ε لأمته : (وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب)[77] ومن قوله ε :(اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)[78].

إن سنة الله ماضية في الأمم والشعوب لاتتبدل ولا تتغير ولاتجامل، وجعل سبحانه وتعالى من أسباب هلاك الأمم والشعوب الاختلاف قال ε :(فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) وفي رواية فأهلكوا[79].

وعن ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود :(فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف)[80] قال ابن حجر العسقلاني : وفي الحديث والذي قبله الحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة والاختلاف[81].

وقال ابن تيمية - رحمه الله - : (وأمرنا الله تعالى بالاجتماع والائتلاف ونهانا عن التفرق والاختلاف)[82].

والاختلاف المهلك للأمة هو الاختلاف المذموم، وهو الذي يؤدي إلى تفرقها وتشتتها وانعدام التناصر فيما بين المختلفين كل طرف يعتقد ببطلان ماعند الطرف الآخر، وقد

---

(77) انظر: النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر (55/3) صححه الالباني.

(78) رواه الترمذي وصححه الالباني، كما في صحيح سنن الترمذي (183/3).

(79) انظر: صحيح البخاري بشرح العسقلاني (101/9، 102).

(80) المصدر السابق نفسه (102/9).

(81) انظر: صحيح البخاري بشرح العسقلاني (102/9).

(82) انظر: مجموع الفتاوى (116/19).

يؤول الأمر إلى استباحة قتال بعضهم بعضاً[83].

(وإنما كان الاختلاف علّة لهلاك الأمة كما جاء في حديث رسول الله ع، لأن الاختلاف المذموم الذي ذكرنا بعض أوصافه يجعل الأمة فرقاً شتى مما يضعف الأمة، لأن قوتها وهي مجتمعة أكبر من قوتها وهي متفرقة، وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة بمجموعها يجرئ العدو عليها فيطمع فيها، ويحتل أرضها ويستولي عليها ويستعبدها ويمسخ شخصيتها وفي ذلك انقراضها وهلاكها[84].

إن من الدروس المهمة في هذه الدراسة التاريخية أن نتوقى الهلاك بتوقي الاختلاف المذموم، لأن الاختلاف كان سبباً من الأسباب في ضياع بلادنا وتسلط الطليان عليها وإن أخطر مانعاني منه الآن الخلاف في صفوف الحركات الإسلامية التي تقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وهذا الخلاف قد يؤدي إلى ضعف الحركات العاملة إذا لم تتخذ سبيل الوقاية منه.

يقول الشيخ عبدالكريم زيدان: (والاختلاف كما يضعف الأمة ويهلكها يضعف الجماعة المسلمة التي تنهض بواجب الدعوة إلى الله ثم يهلكها ولهذا كان شر ماتبتلى به الجماعة المسلمة وقوع الاختلاف المذموم فيما بينها بحيث يجعلها فرقاً شتى، بحيث ترى كل فرقة أنها على حق وصواب وأن غيرها على خطأ وضلال، وتعتقد كل فرقة أنها هي التي تعمل لمصلحة الدعوة. وهيهات أن تكون الفرقة والتشتت والاختلاف المذموم في مصلحة الدعوة أو أن مصلحة الدعوة تأتي عن طريق التفرق، ولكن الشيطان هو الذي يزين الفرقة والتفرق في أعين المتفرقين المختلفين فيجعلهم يعتقدون أن اختلافهم وتفرقهم في مصلحة الدعوة. والاختلاف في الجماعة لايقف تأثيره عند حد إضعاف الجماعة وإنما يضعف تأثيرها في الناس، وتجعل المعرضين ينفثون باطلهم في الناس ويقولون: جماعة سوء تأمر الناس بأحكام الإسلام، والإسلام يدعو إلى الألفة والاجتماع وينهى عن الاختلاف، وهي تخالفه إذ هي متفرقة مختلفة فيما بينها، كل فرقة تعيب الأخرى وتدعي أنها وحدها على الحق. ثم يؤول الأمر إلى انحسار تأثير الجماعة في المجتمع ثم اضمحلالها واندثارها وقيام جماعات جديدة مكانها هي فرق المنفصلين

---

(83) انظر: السنن الالهية ، د. عبدالكريم زيدان، ص139.

(84) المصدر السابق نفسه، ص139.

عنها، ووقائع التاريخ البعيد والقريب تؤيد مانقول)[85].

([85]) انظر: السنن الالهية، ص141،140.